

أدلة أهل السنة والجماعة

المسمّى

"الرد المحكم المنيع"

تأليف

يوسف السيد هاشم الرفاعي

الكويت

تصحيح اخطاء املائية و تنسيق

Islam_light

المحتويات

الموضوع الصفحة

المقدمة..... 5

الفصل الأول: وقفات لابد منها قبل الرد على الحوار 11

الفصل الثاني: (الرد على الحوار) شبهات ومنكرات والرد عليها ... 19

الفصل الثالث : النبي صلى الله عليه وسلم وعلم الغيب 29

الفصل الرابع : مكانة ورفعة وقدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. 51

الفصل الخامس : شبهات تتعلق بقدره الشريف صلى الله عليه وسلم... 67

الفصل السادس : التبرك ليس شركاً ولا بدعة 75

الفصل السابع : التوسل 79

الفصل الثامن : شبهات صغيرة والرد عليها 95

الفصل التاسع : السنة والبدعة 119

الفصل العاشر : حول المولد النبوي الشريف 149

خاتمة 155

المراجع والمصادر 157

ترقيم الصفحات خاطئ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم . وبعد ..،

لقد اطلعت على الكتاب الذي اصدرته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في الرياض بعنوان " حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته " للشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع .

وقد ألمني فيه إنقضاضه على السيد المالكي انقضاض السبع الكاسر على فريسته تهجما على شخصه وعلمه ونسبه الشريف قبل أن يطلب منه الدليل الشرعي على آرائه وأفكاره المنتقدة كشأن العلماء من السلف الصالح رحمهم الله تعالى فجعل من نفسه الخصم والحكم منطلقا من مركز القوة التي يمثله لا من الدليل والحجة والبرهان ..

وقد كان الاجدر به أن يدعو خصمه إلى ندوة تلفزيونية أو اذاعية تتقارع فيها الحجج والبراهين وليته أعطاه الفرصة الشرعية المتكافئة للدفاع عن نفسه - وقد اصدر عليه احكام الكفر والشرك والبدعة والضلال - ولم يهاجمه بمطبوعة شبه رسمية مطبوعة بالأموال العامة لا يملك الخصم أن يرد عليها بنفس القدرة والامكانية في النشر والتوزيع والتمويل ..

ورحم الله خصوم الشيخ ابن تيمية فإنهم لما خرج على الاجماع في بعض آرائه أقاموا له المناظرات الكثيرة المفتوحة في مصر ودمشق بحضور العلماء والوزراء وطلبة العلم ولم يحكموا عليه من طرف واحد كما فعل الشيخ ابن منيع في القرن العشرين.

وكنت قد التقيت بالشيخ عبد الله بن منيع - مؤلف هذا الكتيب - في احد المؤتمرات الاسلامية في الهند منذ بضع سنوات ، فرأيت له لطيفا رقيقا ذا دعابة ينسبك طول الطريق بحكاياته المسلية ..

فلما طالعت مؤلفه الهجومي هذا ضد السيد العلوي وضد آراء عموم اهل السنة والجماعة فوجئت بارتدائه (جلد النمر) وامتثاقه سيف التكفير والتضليل والتشريك فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأسأل الله لي وله العافية والسداد في القوة والعمل وتذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) رواه الشيخان

ونذكر موقف القصاص يوم القيامة بين الظالم والباغي والمبغى عليه وما رواه الامام البخاري وغيره .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من كانت عنده مظلمة - أي ظلامة - لأخيه فليتحلله منه اليوم فإنه ليس ثم - أي ليس في الآخرة - دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه " .

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم طريقة المقاصة بين العباد يوم القيامة وذلك بأن يؤخذ من حسنات الظالم للمظلوم بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات طرح من سيئات المظلوم فطرح على ظالمه .

هذا وقد علمنا الله تعالى في كتابه كيفية الحوار وآدابه مع الكفار والمشركين ..

فهلا اقتبسناه لتعاملنا مع أخواننا المسلمين الذين نخالفهم الرأي..

فقد قال تعالى في معرض الجدل والحوار معهم (والله يعلم المفسد من المصلح) مفوضا الأمر لعلم الله تعالى في أمر معلوم حقيقته وهو صريح الكفر والايمان فكيف بالمتشابهات والفرعيات بين العلماء وطلبة العلم المسلمين ..

وقال تعالى على لسانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبا مشركي قريش بكل أدب وتواضع (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فهلا تأدبنا بأدب القرآن ونحن ندعي أننا حملته ودعائه وأهل الغيرة على القرآن والتوحيد .!؟

وهلا تذكر المؤلف أن حقوق الأعراض وهو موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه أو سلفه يجب أن تصان عن الانتهاك .

وهو تناولها بغير حق .

ويدخل تحت انتهاك الأعراض أمور كثيرة منها القذف والشتم والبهتان والغيبة وإشاعات الكلمات حول من هو بريء منها فإن ذلك يجري فيه القصاص يوم القيامة .

روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "

أندرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال صلى الله عليه وسلم : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وصدقة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار " ورواه الطبراني في الاوسط .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلمة والوعرة لقيه المظلوم فعرفه وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا يقصون (أي يقتصون) من الذين ظلموا حتى ينزعوا ما في أيديهم من الحسنات فان لم تكن لهم حسنات رد عليهم من سيئاتهم - أي سيئات أصحاب الحقوق - حتى يوردوا الدرك الأسفل من النار " .

وروى ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله " .

ورواه الاصبهاني وزاد : قال سفيان بن عيينة : هو أن يقول : اق . يعني لا يتم كلمة اقتل . ا هـ وروى البيهقي نحوه من حديث ابن عمر .

وإنه من واجبي الشرعي ومما أتقرب به إلى الله تعالى ثم رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن اتقدم للدفاع عن السيد الشيخ محمد علوي المالكي فالسيد المالكي مني وانا منه يؤذيني ما يؤذيه ويسرني ما يسره كما قال صلى الله عليه وسلم عن بضعته الطاهرة البتول وسبطه الحسين رضي الله عنهما وعليهما السلام ..

وأنا مع السيد المالكي أناصره في الحق وبالحق ..

بالدليل الشرعي المسند لا بالحمية الجاهلية والهوى ..

فكلنا والله الحمد وقاف عند حدود الله تعالى خائف له تعالى راج لرحمته ..

لا نتناصر إلا بالحق ويرد بعضنا بعضا عن الهوى والباطل ..

وأنا وإياه أغير على سنة إمامنا ونبينا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الشيخ ابن منيع أو الشيخ الجزائري أو الشيخ التويجري الذين تناصروا على السيد المالكي أشرا

وبطرا ومرجعنا جميعا إلى الله تعالى هو الحكم العدل يوم القيامة (اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) سورة غافر الآية / 17 .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من ذكر امرءا بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه " . رواه الطبراني بإسناد جيد

وفي رواية له : " أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء يشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذبيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال " .

وروى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه ردغة الخبال حتى يخرج مما قال " . وفي رواية الطبراني : " وليس بخارج " .

وقد رأيت من واجبي نصره الظلوم وهو السيد العلوي لأن الذي يعاب عند أخوه المسلم أو يغتاب وهو ساكت على ذلك فهو آثم في الدنيا والآخرة .

ولأن في حماية المؤمن المظلوم المستضعف المقهور من ظالمه الباغي المتسلط عليه أجرا وثوابا عظيما فقد روى أبو داود عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلما يريد به شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال) .

وروى أبو داود وابن أبي الدنيا وغيرهما عن جابر بن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من امرئ مسلم يخذل امرءا مسلما في موضع تنتهك فيه حرمة ، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهدك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته " .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من اغتیب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه إثمه في الدنيا والآخرة " .

رواه أبو الشيخ في كتاب التوبيخ والاصبهاني كما في ترهيب المنذري.

كيف وأن في الانتصار للمظلوم المفترى عليه السيد الشيخ محمد بن المرحوم السيد الشيخ
علوي المالكي ، انتصارا لعموم مذهب

أهل السنة والجماعة من أتباع السلف الصالح الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم لذلك أسميت
هذا الكتاب (أدلة أهل السنة والجماعة) أو الرد المحكم المنيع على منكرات وشبهات ابن
منيع .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

يوسف السيد هاشم الرفاعي

الفصل الأول

استعداد السلطة على الخصم بدل المحاججة والمناظرة ليس من سنة وشيم السلف من العلماء

المعلوم والواضح للجميع أن الشيخ ابن منيع وأعوانه من المشايخ في " الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد " من خصوم الشيخ السيد محمد علوي المالكي المهاجم في (الحوار) - هم في المركز القوي اذ يملكون الهيمنة المطلقة على شؤون المسلمين في البلاد ويملكون فرض آرائهم ومعتقداتهم على خصومهم ولديهم كذلك الأموال الموضوعه تحت تصرفهم لطبع ونشر ما يريدون وما يحبون ..

فلماذا إذن ترك سلاح الحجة والمناظرة مع السيد العلوي واللجوء إلى سلاح (استعداد السلطة والسultan عليه) كما بين ذلك الشيخ ابن منيع نفسه عندما نشر مقررات ومكاتبات الرئاسة العامة وشكاواها ضد السيد العلوي الذي استفرد به خصومه وضايقوه في دينه ورزقه والذي لا يملك إلا رأيه وحجته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولقد كانت الحكومة السعودية برموزها الكبيرة في موقف الشرع والحكمة والعدالة والحق عندما لم تستجب استجابة كاملة لكل ما طالب به خصوم السيد المالكي فقمعت الفتنة وآثرت التروي والحكمة وكأنها وهي خادمة (الحرميين الشريفين) مهوي ومهبط قلوب المسلمين جميعا ، وكأنها وهي تحمل شعار (العلم والايمان) في العالم الاسلامي كله بما فيه من آراء ومذاهب اسلامية متعددة ، وكأنها وهي بلد (الجامعات السبع) ، أثبتت مصداقية التزامها بشعاراتها ومواقفها المعلنة .

لأن المسائل المثارة بين الشيخ السيد محمد علوي المالكي ومخالفيه من المسائل الخلافية التي طالما ثار حولها الجدل في تاريخ المسلمين منذ القرن السابع الهجري عندما خالف الشيخ ابن تيمية رحمه الله جمهور العلماء في بعض المسائل التي يتبناها حاليا الشيخ ابن منيع وجماعته ..

وإذا كان البعض من محبي الشيخ ابن تيمية رأوا في حجر جمهور العلماء آنذاك على آراء شيخ الإسلام واستعداد السلطة عليه آنذاك ومحاكمته من أجلها انتهاء بتقييد حريته وسجنه رضي الله عنه ؛ استبدادا وارهابا فكريا لا يليق بالعلماء ولا ينسجم مع (حرية الفكر والتفكير والاجتهاد) في الاسلام وهو الحنيفية السمحاء ..

فإننا نربأ بأتباعه ومحبيه من أمثال الشيخ ابن منيع وشيوخه أن يسلكوا هذا المسلك مع زميل لهم في العصر الحاضر يقف - من حيث قلته وضعفه المادي لا العلمي - موقف الامام الشيخ ابن تيمية بالأمس ويقف خصومه منه موقف خصوم شيخ الاسلام رحمه الله بالأمس وقديما قيل :

لا تته عن خلق وتأتي مثله

عار عليك اذا فعلت عظيم

علما بأن الحق - في الميزان الشرعي - مع الشيخ السيد العلوي لأنه يعبر عن مذهب وآراء علماء المسلمين وعامتهم وسوادهم الأعظم خارج المملكة وداخلها أي اتباع مذهب (اهل السنة والجماعة) وهم اغلبية المسلمين.

وقد يعترض الشيخ ابن منيع قائلا : - إن العبرة ليست بالكثرة لأن الله تعالى يقول : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) ونحن نرد عليه قائلين : هذه الآية في حق الكثرة من (أمية الدعوة) من البشر ، أما بالنسبة (لأمة الاجابة) وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإن كثرتها مع الحق بإذن الله تعالى وقد بشرنا بذلك وأكد هذه الحقيقة التي هي أن الحق مع الجمهور من علماء المسلمين وعامتهم سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي حسنه الترمذي . ورواه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله مع الجماعة) .

موقف الشيخ الجزائري

اعتمد الشيخ ابن منيع في حوارهِ على كتيب للشيخ (ابو بكر الجزائري) سماه (الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاجحاف) في معرض تهجمه على السيد العلوي ، وخاصة علماء المسلمين وعامهم من سواد هذه الأمة ، بسبب احتفالهم بالمولد النبوي الشريف واعتقاد مشروعيته .

وحقيق بهذا الكتيب أن يسمى (الاعتساف فيما قيل في المولد النبوي من الغلو والاجحاف من قبل الجفافة وأرباب الخلاف) ..

ولا أدري هل الشيخ الجزائري لا يزال جزائريا ام انه اصبح مواطنا سعودييا وصول ويجول كما يشاء لأنه اصدر بعد كتيبه الصغير ذاك رسالة صغيرة أخرى سماها (من رسائل الدعوة

: كمال الامة في صلاح عقيدتها - شرح الاية - ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها (مؤرخة في 29 / 1403 هـ / 8 هـ ..

سار فيها على منوال الشيخ ابن منيع في التهجم والهجوم على السيد المالكي إلا أنه لم يسمه - لسبب لا اعرفه حتى الان - وإن كان قد أشار اليه باعتباره (مؤلف كتاب " الذخائر المحمدية " الذي نشر الاعتقادات الفاسدة البطالة والبدع المفسقة والمكفرة) .

لقد ادعى الشيخ الجزائري في مقدمة رسالته تلك أن هدفه النصيحة إلا أنه في ختامها لبس جلد النمر والأسود ، وبعد أن أسرف في مهاجمة خصومه الفكريين بعبارات قاسية ، التفت إلى رجالات الحكومة السعودية ورموزها فشملمهم بهجومه الكاسح متهما إياهم بالفثور في دعوة التوحيد معللا ذلك بما نصه (لانشغالهم بمهام حكمهم وتغير الظروف والأحوال عليهم) كما ورد في الصفحة (25) من رسالته التي طبعت ووزعت ثلاث مرات في داخل وامام المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة ولا تزال .

فاتق الله أيها الشيخ فقد بقي من العمر القليل .

وموقف آخر للشيخ التويجري

وبينما أنا اتهباً لاختتام ردي هذا على الشيخ ابن منيع ، أصدر المدعو (حمود بن عبد الله بن حمود التويجري) ولعله من طلبة العلم أو

شيخ من المشايخ في المملكة ، لأنني لم اعرفه أو اسمع عنه من قبل ، كما انه لم يعرف بنفسه في مقدمة كتابه ولم يعرف به احد ..

كتابا سماه (الرد القوي على الرفاعي وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي) والكاتب كما يبدو لي من تصفح كتابه لا يخلو من إمام بعلم الحديث الشريف كما انه كان اكثر ورعا وخوفا من الله تعالى من الشيخ ابن منيع فلم يطلق على السيد المالكي أو على شخصي الضعيف ألقاب (الشرك والكفر والضلال) كما فعل الشيخ ابن منيع واخوانه في كتابه (الحوار) حيث صبوا على السيد المالكي أفذع الصفات حتى اتهموه بارتكاب (الكفر البواح) كما ورد في مقدمة الكتاب في الصفحة (5) منه ..

مما يعني - والعياذ بالله - هدر دمه واخراجه من الملة .. نعوذ بالله أن نكون ممن (اذا خاصم فجر) ونسأله تعالى تحري الحق والعافية وان نكون ممن (وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) .

وأعود إلى كتاب الشيخ (التويجري) لأقول إن لدي عليه الملاحظات التالية :

1. أنه يستهل رده على كل دليل من الأدلة التي سقتها في مقالي المنشورين في جريدة (السياسة) الكويتية بتاريخ 12 و 23 ربيع الاول سنة 1402هـ بالحديثين الكريمين (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (كل بدعة ضلالة) وأنا لا اختلف معه في فهم معناهما ومدلولهما ومفهوم البدعة والسنة .. وهذا محله (بحث البدعة والسنة) من كتابي هذا فليراجعه الشيخ التويجري .

2. أنه ركز رده وقصره على مهاجمة (الاحتفال بالمولد النبوي الشريف) مدعيا عدم مشروعيته ومهاجما الأدلة التي اوردها والسيد المالكي على مشروعيته . وحتى لا يكون هذا (الرد) طويلا ومملا للقارئ الكريم فإني سوف أخص مشروعية (المولد النبوي الشريف) برسالة خاصة تصدر قريبا بإذنه تعالى ، مكتفيا بأن أنشر الآن في نهاية هذا (الرد) مقالا قصيرا للدكتور الشيخ محمد سعيد بن الملا رمضان البوطي - من علماء اهل السنة والجماعة في بلاد الشام المعاصرين - حول هذ الموضوع وبيان مشروعيته ، وفيه الافادة لمن يريد الحق ويهجر العناد .

3. أن مستنده الأخير تكراره وترديده أن معظم الادلة مستقاة ومأخوذة من كتب السيد محمد علوي المالكي .. مثل كتابه (حول الاحتفال بالمولد النبوي) وكتابه الآخر (الذخائر المحمدية) مما جعل رده ركيكا ومملا ومضيقا لوقت قارئه وفيما عدا هاتين النقطتين لا نجد جديدا قدمه الشيخ التويجري في هذا الكتاب الضخم (والرد القوي) الذي أتعب نفسه فيه إلا تخريجه لمعظم الأحاديث النبوية التي سقتها أنا أو ساقها السيد المالكي أو ساقها هو نفسه وهذا جهد يشكر عليه ويدل على اهتمامه بعلم الحديث الشريف مما يفوق به الاخرين من أقرانه .

وبالنسبة لاتهامه لي بالاعتماد على كتب السيد المالكي والاستعانة بأدلته على مشروعية المولد النبوي الشريف وما سماه هو (سرقة) فهذا شرف لا انكره ولم يكتشف الشيخ التويجري جديداً أو امراً مطلقاً مخفياً لو انه رجع فيما كتبتة انا ونقله هو حرفياً في كتابه إلى ما يلي :

1. انني ذكرت في مقالي - كما نقله الشيخ التويجري عني في صفحة 67 من كتابه - بعد أن بينت أن الاحتفال بالمولد النبوي جائز شرعاً قياساً على صيام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم عاشوراء الذي نجا الله تعالى فيه موسى من فرعون والغرق ، بينت أن مرجعي في ذلك (مقدمة المرود الروي في المولد النبوي لعلي القاري) ولأن الشيخ التويجري لم يقرأ هذه المقدمة ولم يعرف صاحبها - وهو السيد العلوي المالكي نفسه - جازف باتهامي بسرقة أدلته دون الإشارة إلى صاحبها .. وهذا مرده العجلة وسوء الظن وعدم الوقوف عند قوله تعالى) فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

2. أنني ذكرت اسم السيد محمد علوي المالكي صريحاً وكاملاً في ذلك المقال مطالباً برفع (الارهاب الفكري) ضده من قبل مخالفيه من العلماء .. وكان عنوان وموضوع مقالي (الرد على الشيخ عبد العزيز بن باز) عندما هاجم الاحتفال بالمولد النبوي واعتبره شركاً وبدعة . ومعروف أن السيد المالكي من أوائل الذين سوف يطلعون على هذا المقال لورود اسمه فيه صريحاً .

3. أن الموقف الضيق الحرج بالنسبة للسيد المالكي كان يقتضي نشر أدلته الشرعية وتبينها والدفاع عنها من قبل الآخرين باعتبارها أدلة عامة مشتركة لجميع مشاركيه في الرأي من اهل السنة والجماعة الذين هم السواد الاعظم للأمة الاسلامية في عالم المسلمين .. وهذا ما فعله العبد الفقير متحرياً به وجه الله تبارك وتعالى في بيان الحق ونصرة المظلوم .

وأخيراً ..

هل تقبل شهادة ابن منيع على السيد المالكي

الجلي البين في كتاب الشيخ ابن منيع الذي كرسه للهجوم على الشيخ السيد محمد علوي المالكي ..

انه يتبرأ من عقيدته وآرائه وأفكاره ..

فهو إذن مخالف له في العقيدة ..

علما بأن كل من اطلع على الكتاب الاخير للسيد المالكي (قل هذه سبيلي) وخاصة في فصل الايمان والعقيدة ، علم وتيقن صفاء وسلامة عقيدته وتوحيده وكذب وافتراء مخالفه عليه ، مما سيحاسبون عليه يوم القيامة حسابا عسيرا ..

وبمناسبة الحديث عن هذه المسألة الهامة وهي (المخالفة في العقائد) بين الاثنين ..
أود أن اورد كلاما نفيسا للأمام العلامة المحقق (تقي الدين بن دقيق العيد المتوفي سنة 702 هـ) والذي قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 4 ص 1481 (الامام ، الفقيه ، المجتهد المحدث ، الحافظ العلامة ، شيخ الاسلام) .

وقد ذكره في (باب معرفة الضعفاء) وهو الباب الثامن من كتابه (الاقتراح في بيان الاصطلاح) تحقيق قحطان الدوري - طبع مطبعة الارشاد في بغداد سنة 1402 هـ - 1982م . حيث قال ما نصه : " وهذا الباب تدخل فيه الآفة من وجوه : أحدها وهو شرها الكلام بسبب الهوى والغرض والتعامل ..

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ (صاحب الاستيعاب) أمورا كثيرة عن أقوام من المتقدمين وغيرهم ، حكم بأنه لا يلتفت إليها ، وحمل بعضها على أنها خرجت عن غضب وحرص من قائلها .. ومن رأيه أن من اشتهر بحمل العلم فلا يقبل فيه جرح إلا ببيان هذا أو معناه.

وثانيها المخالفة في العقائد :- فإنها اوجب تكفير الناس بعضهم لبعض أو تبديعهم ، وأوجب عصبية اعتقدوها دينا يتدينون به ، ويتقربون به إلى الله تعالى ، ونشأ من ذلك : الطعن بالتكفير أو التبديع .. وهذا موجود كثيرا في الطبقة المتوسطة من المتقدمين .

ثم ختم الامام ابن دقيق العيد كلامه النفيس هذا بقوله : (والذي تقرر عندنا : أنه لا تعتبر المذاهب في الرواية إذ لا تكفر أحدا من اهل القبلة) .

وفي الحاشية ذكر محقق الكتاب أن نص الامام ابن دقيق العيد ورد في شرح (العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص 355) : (ولا تكفر أحدا من اهل القبلة بذنب ، ما لم يستحله) .

وبهذا الكلام النفيس نتحصل على جواب السؤال عن مدى صحة قبول شهادة ابن منيع على السيد المالكي للمخالفة في العقائد من جهة ولكون الشيخ ابن منيع خالف رأي العلماء من السلف الصالح كالامام ابن دقيق العيد الذين لا يبيحون ابدا تكفير احد من اهل القبلة والاسلام خاصة اذا انعدم الدليل والبرهان الساطع البين الصريح.

الطعن والتشكيك في الأنساب من الكبائر

المعلوم لطلبة العلم والعامّة فكيف للعلماء قوله صلى الله عليه وآله وسلم (الناس مؤتمنون على أنسابهم) وان (الطعن في الانساب من الكبائر) فكيف بعد هذا يتحمل الشيخ ابن منيع ويوافقه المشايخ المراجعون لكتابة والرئاسة العامة التي صدر الكتاب في (ثلاث طبعات) حتى الان على حسابها من أموال (بيت مال المسلمين) على المساس بالأنساب غمزا ولمزا حيث ورد في (الحوار) بحق السيد المالكي قول المؤلف (صفحة 42) :-

لقد نشرنا أملنا في أن تكون شهادته نبراسا له في طريق الدعوة إلى الله بما يرتضيه جده صلى الله عليه وسلم على افتراض صحة نسبته إليه .

وقوله في الصفحة (191) : (وكم اتمنى أن يكون المالكي وهو يذكر انه احد اسباط رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهذه صيغة (تمريض) كان يجب أن يتبرأ منها ويتورع عنها من هو أقل علما من المؤلف وانتسابا للعلم الشريف ..

اللهم ألبسنا ثوب الورع العميم واعذنا بحولك وقوتك من العذاب الاليم فليس المؤمن بسباب ولا فاحش ولا بذيء .

واجعلنا اللهم من احباب اهل بيتك نبيك الكريم الذين قلت فيهم .. (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى)

وقال فيهم صلى الله عليه وآله وسلم (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي) أخرجه الترمذي وحسنه والطبراني عن ابن عباس .

ورحم الله القائل :

كانت مودة سلمان لهم رحم ولم يكن بين نوع وابنه رحم .

الرد على الحوار

قال الشيخ ابن منيع : (إن المالكي بما قرأنا له في كتابه - الذخائر المحمدية - من أن الخلق خلقوا لأجل محمد ، وإن محمدا له علم شامل ، يعلم الروح والأمور الخمسة التي اختص الله تعالى بعلمها ، وإن له مقاليد السموات والأرض) إلى آخر ما قاله في حوار ه ص 186 .

ولي على ما سبق الردود التالية مستعينا بحوله تعالى وقوته القوية فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفصل الثاني

ولأجله خلقتك

يذكر بعض العلماء في كتب المناقب أن من جملة خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الكون خلق لأجله وممن ذكر هذه الخصوصية الحافظ جلال الدين السيوطي والحافظ القسطلاني والشيخ الزرقاني وصح أحاديث هذه الخصوصية الحافظ الحاكم والسبكي والبلقيني .

فقد أخرج الحاكم والبيهقي والطبراني في الصغير وأبو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لما اقترف آدم الخطية قال : يا رب ، بحق محمد لما غفرت لي ، قال : وكيف عرفت محمدا ؟ قال : لأنك لما خلفتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلي اسمك إلا أحب الخلق إليك . قال : صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك .**

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . وقال الذهبي : بل هو موضوع .

(المستدرک وتلخيصه ج 2 / 651)

(والمواهب اللدنية وشرحها ح 1 ص 62)

قلت : وقول الذهبي انه موضوع تعنت منه ، وهذا ليس بغريب لأنه معروف في ميزان الجرح والتعديل بأنه من المتشددین .

وقد ذكر هذا الحديث البيهقي في كتابه المشهور دلائل النبوة وهو ملتزم أن لا يخرج حديثا في كتابه يعلم انه موضوع كما نص عليه الحافظ السيوطي في كتابه التوحيد من اللآلي المصنوعة . وقد ذكر في مقدمة كتابه الدلائل هذا ما يفيد قبول الاحاديث التي يرويها فهذا الكتاب وهي ضعيفة وانه يكتفي بالصحيح (ص 5 دلائل النبوة) .

وقد قال الذهبي عن هذا الكتاب أي (دلائل النبوة) عليك به فإنه كله هدى ونور اهـ من شرح المواهب ح 1 ص 62 .

وقد ذر البيهقي هذا الحديث في كتابه دلائل النبوة في باب ما جاء في تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمة ربه عز وجل لقوله تعالى : (**وأما بنعمة ربك فحدث**) ثم قال بعد أن ساقه : تفرد به عبد الرحمن ابن زيد بن اسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف اهـ .

وأيد ذلك الحافظ عماد الدين ابن كثير حيث نقل هذا الحديث في كتابه البداية والنهاية ، ولم يعترض عليه بشيء (البداية 1 / 180) .

وأخرج الحاكم وصححه وأقره السبكي والبلقيني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أوحى الله إلى عيسى : أمن بمحمد ومر من أدركه من امتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن .

قال الحكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه (2 / 615)

وقال الذهبي : قلت أظنه موضوعا على سعيد .

قلت : وذكر هذا الحديث الامام محمد بن يوسف الشامي في كتابه المعروف بالسيرة الشامية ، وقال : رواه ابو الشيخ في طبقات الاصفهانيين والحاكم وصححه وأقره السبكي وشيخ الاسلام البلقيني في فتاويه . وقال الذهبي في سنده عمرو بن أوس لا يدري من هو .

وروى الديلمي في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **أتاني جبريل فقال : يا محمد ، إن الله يقول : لولاك ما خلقت الجنة ، ولولاك ما خلقت النار** (السيرة الشامية 1 / 94) .

وذكر الحديث ايضا السبكي في شفاء السقام وصححه (ص 162) .

كما ذكر الحديث الشيخ ابن تيمية في فتاويه الكبرى ج 151/2 .

وقال : روى أبو نعيم الحافظ في كتابه دلائل النبوة ، ومن طريق الشيخ أبي الفرج بسنده إلى عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال يا رب ، بحق محمد إلا غفرت لي فأوحى إليه وما ومحمد ؟ ومن محمد ؟ فقال : يا رب ، إنك لما أتممت خلقي رفعت رأسي إلى عرشك ، فاذا عليه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك ، إذ قرنت اسمه مع اسمك . فقال : نعم ، قد غفرت لك ، وهو آخر الانبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك .** قال ابن تيمية : فهذا الحديث يؤيد الذي قبله، وهما كالتفسير للاحاديث الصحيحة .

(قلت) فهذا يدل على أن الحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد والاعتبار لأن الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدثين ، وانت ترى أن الشيخ استشهد به هنا على التفسير – وبهذا ظهر أن الحديث هذا صححه جماعة من العلماء لا يستهان بهم كالحاكم والسبكي والبلقيني والبيهقي إذ أخرجه في كتابه الذي شرط فيه أن لا يخرج الموضوعات وكذلك ابن كثير والقسطلاني والزرقاني وكون الذهبي رده أو حكم بأن موضوع لا يؤثر شيئاً ، وليس رأي الذهبي بأولى من رأي الحاكم والبيهقي فمن رد الحديث من أجل فساد المعنى ، فهذا إجتهد منه في الفهم ، ونحن لنا اجتهد آخر في الفهم ، ومن رده من أجل حكم الذهبي فنحن نقبله من أجل حكم الحاكم والبيهقي ..

ومن قال أن الحاكم متساهل في الحكم بالصحة ، فعليه أن يعلم أن الذهبي مسرف في الحكم بالوضع .

وقد حكم كثير من العلماء على أحاديث بالوضع فلم يسلم قولهم كابن الجوزي فانه اورد في كتابه (الموضوعات الكبرى) الضعيف بل الحسن بل الصحيح مما هو في سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه ومستدرك الحاكم وغيرها من الكتب المعتمدة بل فيه حديث في صحيح مسلم حتى قال بعض العلماء :

ومن عجب ما يرى للمسلم فيه حديث من صحيح مسلم

والحديث يدل على مزيد التكريم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعارض شيئاً من أصول التوحيد ، وليس في انتزاع لحق من حقوق الربوبية أو صفات الألوهية بل إنه تشهد له كثير من الحقائق المعتمدة .

فمن ذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه العزيز أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فثبت أنه صلى الله عليه وسلم رحمة . وان هذه الرحمة للعالمين ، ولا بد لتحقيق هذه الرحمن وجود العالمين . فهم مظهر تحقق تلك الرحمة ، فلا حرج أن يقال : إن العالم خلق من أجل تلك الرحمة المتعلقة به . ومن ذلك ، أن الله سبحانه وتعالى قال : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) .

وهذا يفيد أن من الحكم الالهية لايجاد الخلق هو العبادة له - سبحانه وتعالى . وهذه العبادة التي من أجلها خلق الخلق لا تكون إلا في الدنيا . فهي مظهر تلك العبادة ومحلها ومشدها ، فمن لازم القضية أن نقول أن الكون كله خلق من اجل إقامة العبادة لله سبحانه وتعالى ، فلا حرج لو قال قائل : أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون من اجل عباده الخالصين المخلصين العابدين الطائعين .

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو سيدهم وإمامهم وخلصتهم ومرشدهم وخاصتهم فما الحرج لو قال قائل : إنه خلق الكون من أجله أيضا ؟

روى عبد الرزاق عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه قال : قلت (يا رسول الله بأبي أنت وأمي : أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء . قال : يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره) إلى اخر الحديث الذي رواه عبد الرزاق .

وروى ابن عساكر عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال : (هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن ربك يقول إن كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا واهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا) .

والحاصل انه لو لاي ما خلق الكون ، ولولاك ما خلق الكون ولولا العباد كلهم ما خلق الكون ، ولولا محمد صلى الله عليه وسلم ما خلق الكون فالخطب سهل إلا أن الدرجات متفاوتة .

ولا يشهدا إلا ذو بصيرة .

ولما كان حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في العبادة التي من أجلها خلق الكون ليس كغيره ، صح أن يقال (خلق الكون من أجله) ولم يقل أحد في غيره ذلك القول .

ومن ذلك قوله تعالى : (خلق لكم ما في الارض جميعا) .

(وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) .

وإذا كانت هذه الأمور إنما خلقت لأجل البشر وأبي البشر إنما خلق لأجله صلى الله عليه وسلم . كانت الدنيا إنما خلقت لأجله صلى الله عليه وسلم . وذلك لمجرد التكريم .

وأول الأرواح البشرية خلقا هو روح السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم كما أخبر عن ذلك بقوله : " كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث " رواه ابن سعد مرسلا بإسناد صحيح ، ورواه أبو نعيم وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال والديلمي كلهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : " كنت أول النبيين في الخلق وأخرهم في البعث " . وهذه الرواية تفسير رواية ابن سعد وان المراد من الناس الأنبياء ، فهو صلى الله عليه وسلم أولهم في عالم الأرواح وخاتمهم في عالم الأشباح صلى الله عليه وسلم ، وقد نبأه الله تعالى في عالم الأرواح قبل الأنبياء كلهم ، فبه فتحت النبوة في عالم الأرواح وبه ختمت في عالم الأشباح صلى الله عليه وسلم . فهو الفاتح وهو الخاتم .

روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله ، متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد " وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب ورواه أبو نعيم والبيهقي والحاكم وصححه ، ورواه البزار والطبراني وأبو نعيم أيضا من رواية ابن عباس رضي الله عنهما .

وروى أحمد وابن حبان والحاكم وصحاه وأقره الذهبي عن العرباض بن سارية أنه صلى الله عليه وسلم قال : (إنني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ..) .

وعن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : " كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد " رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ والطبراني والحاكم وصححه وقال الحافظ الهيثمي في رجال أحمد والطبراني : رجالها رجال الصحيح . ١ هـ .

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر) .

نظائر لهذا التكريم الألهي

وقد وقع من هذا التكريم لأفراد من هذه الأمة وغيرهم من اتباع الرسل فيغفر الله سبحانه وتعالى لهذا من أجل هذا ويسامح هذا من أجل هذا ويشفع هذا في هذا كما جاء في احاديث عرفة أن الله تعالى يقول للملائكة في حق الواقفين بعرفة الداعين اني اجبت دعاءهم ووهب مسيئتهم لمحسنيهم (رواه أبو يعلى) وفي رواية الطبراني عن النبي صلى الله قال (إن الله وهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى لمحسنكم ما سأل فادفعوا باسم الله) فلما كان (بجمع) قال إن الله عز وجل قد غفر لصالحيكم وشفع صالحكم في طالحيكم) .

وفي رواية للبيهقي أن الله تعالى يقول (إنني قد غفرت له وشفعته في نفسه ولو سألتني عبدي هذا لشفعته في أهل الموقف) .

وهذه الأحاديث ذكرها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب في كتاب الحج ج 3 ص 323 وهي صالحة للاحتجاج وبمجموعها يصير الخبر صحيحا .

وقد جاء أن من عباد الله الصالحين من يرزق الله الكون لأجلهم فبهم يسقي العباد وينصرهم ويغيثهم ويدفع البلاء عنهم ويجلب الخير لهم ويرحم بهم أهل الأرض جميعا .

عن علي رضي الله عنه قال إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (البلاء بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدله الله رجلا مكانه يستسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام العذاب) .

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة وقد سمع من المقداد وهو أقدم من علي .

وعن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الابدال في هذه الأمة ثلاثون مثل خليل الرحمن عز وجل كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا) .

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلي وأبو زرعة وضعفه غيرهما .

وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يزال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون " قال قتادة إنني أرجو أن يكون الحسن منهم .

رواه الطبراني من طريق عمر ، والبخاري عن غنيسة الخواص وكلاهما لم أعرفه وبقيّة رجاله رجال الصحيح .

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر) . قال سعيد سمعت نقادة يقول لسنا نشط أن الحسن منهم .

رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن (مجمع الزوائد 10/ص 62) .

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعاً وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض .

رواه الطبراني وهو حسن كذا في الجامع .

بل إن الله سبحانه وتعالى أكرم أمة بأسرها ومعها نبيها لأجل نملة حقيرة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقي فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال : ارجعوا فقد أستجيب لكم من أجل هذه النملة رواه الدار قطني (مشكاة المصابيح ج 1 ص 478) .

فإذا صح أن يقال أن الله لأجل نملة سقى أمة بأسرها وفيها نبيها وصالحوها وأوليائها فما المانع أن يقال أن الله خلق آدم لأجل محمد صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن المقصود بمحمد هو ذاته وشريعته ورسالته الخاتمة الكاملة العامة فالله خلق آدم والكون من أجل محمد للإيمان به ونصرته وتأييده والإقرار برسالته التي ختم بها الرسالات وأكمل بها الدين وتمم بها مكارم الأخلاق .

وقد جاء أن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا أدركوه وأن ينصروه ويؤيدوه ويكونوا من أتباعه وأن يأخذوا مثل هذا العهد على أممهم قال تعالى : (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) .

قال علي وابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق ،
لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث
محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولننصرنه .

قال ابن كثير : فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ،
هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد ، لكان هو الواجب الطاعة المقدم على
الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيح
في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده ، وهو المقام المحمود الذي لا
يليق إلا له ، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين ، حتى تنتهي النبوة إليه
فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه .

استشارة الحق سبحانه نبيه محمداً

ومن نظائر هذا التكريم ما جاء في الحديث أن الله سبحانه وتعالى استشار نبيه محمداً صلى الله
عليه وسلم في شأن الأمة .

عن حذيفة قال : غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج حتى ظننا أنه لن يخرج
فلما خرج سجد سجدة حتى ظننا أن نفسه قد قبضت فيها فلما رفع رأسه قال إن ربي عز وجل
استشارني في أمتي ماذا - أفعل بهم وقلت ما شئت ربي هم خلقك وعبادك فاستشارني الثانية
فقلت له كذلك فقال لا نخزيك في أمتك يا محمد وأخبرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي
سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ثم أرسل إلي فقال ادع تجب وسل تعط
فقلت لرسوله أو معطى ربي عز وجل سؤلي قال ما أرسلني إليك إلا ليعطيك ولقد أعطاني
ربي عز وجل ولا فخر وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حيا صحيحاً وأعطاني
أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني الكوثر من الجنة يسيل في حوضي وأعطاني العز
والنصر والرعب يسير بين يدي أمتي شهراً وأعطاني أني أول الأنبياء أدخل الجنة وطيب لي
ولأممي الغنيمة وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا من حرج . رواه أحمد .
قال الهيثمي إسناده حسن (ج 10 ص 68 مجمع الزوائد) .

وبهذا ظهر أن من قال بهذه الخصوصية وأثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم هم رجال لا
يستهان بهم من أئمة هذه الأمة وحفاظها كالحاكم والبيهقي والسبكي والسيوطي وابن الجوزي
والزرقاني والقسطلاني . لهم دليل يستمسكون به وأصل يرجعون إليه لا من هواهم أو
تعصبهم وبقي بعد ذلك البحث في صحة هذا الأصل أو عدم صحته وللمنكر أن يقول إن

الأصل ليس بصحيح مثلاً فينبني عليه عند من يعرف أصول البحث والنظر أن يقال للمستمسك به إنه مخطئ ولا يصل به الحال إلى أن يقال عنه إنه مشرك أو ضال ([سبحانك](#) هذا بهتان عظيم) إن هذه المسألة لا صلة لها بالشرك والكفر .

وإنما يدور البحث فيها فيما بين الصواب والخطأ والصحة والبطلان .

الفصل الثالث

النبي صلى الله عليه وسلم وعلم الغيب

مقدمة :

العلم بالغيب علمان : علم ذاتي مطلق تفصيلي محيط بجميع المعلومات الإلهية بالاستغراق الحقيقي وهذا خاص بالله جل جلاله لا يشاركه فيه أحد ومن أثبت شيئاً منه ولو أدنى من أدنى من ذرة لأحد من العالمين فقد كفر وأشرك وبار وهلك ، وعلم عطائي مكتسب من الله تعالى لبعض عباده مثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . قال تعالى :-

1. (عالم الغيب فلا يطلع على علمه أحداً إلا من ارتضى من رسول) .
2. وقال تعالى : (وبشروه بغلام عليم)
3. وقال : (وإنه لذنو علم لما علمناه)
4. وقال : (وعلمناه من لدنا علماً)
5. وقال : (وعلمك ما لم تكن تعلم)

إلى غير ذلك من آيات كثيرة .

وهذا ما وفق إليه العلماء الإثبات في آيات النفي والإثبات - كما قال الإمام أبو زكريا النووي في فتاواه والإمام بن حجر المكي في (الفتاوي الحديثية) وغيرهما أن معناها : (لا يعلم ذلك استقلالاً وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله تعالى . ولا يمكن أن تخطر شبهة مساواة علم المخلوقين طراً أجمعين بعلم رب العالمين - لأنه علمه تعالى ذاتي وعلم الخلق عطائي ، علم الله واجب لذاته وعلم الخلق ممكن له ، علم الله أزلي سرمدي قديم حقيقي وعلم الخلق - ومنهم الأنبياء - حادث لأن الخلق كله حادث والصفة لا تتقدم الموصوف ، علم الله غير مخلوق وعلم الخلق مخلوق ، علم الله غير مقدور وعلم الخلق مقدور ومقهور ، علم الله تعالى واجب البقاء وعلم الخلق جائز الفناء ، علم الله ممتنع التغيير وعلم الخلق ممكن التبديل . (1)

المنهج السليم للاستدلال بآيات القرآن الكريم

إن ملاك الأمر ومناط النجاة الإيمان بالكتاب كله ، وما ضل أكثر من ضل إلا أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، كالتدريية آمنوا بقوله تعالى : (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وكفروا بقوله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) والجبرية آمنوا بقوله تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) وكفروا بقوله تعالى : (ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون) .
والخوارج آمنوا بقوله تعالى : (وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين) وكفروا بقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .
والمرجئة آمنوا بقوله تعالى : (لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) وكفروا بقوله تعالى : (من يعمل سوءاً يجز به) وأمثال ذلك كثير .

دليل علمه الغيب (صلى الله عليه وسلم) من القرآن الكريم

والقرآن الكريم الذي نص أنه (لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) نص أيضاً أنه : (لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) وقال : (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) وقال : (وما هو على الغيب بضنين) وقال : (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) وقال تعالى : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وقال تعالى : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) وقال تعالى : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك) إلى غير ذلك من الآيات .

فهذا ربنا تبارك قد نفى نفيّاً لا مرد له أنه (لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وأثبت إثباتاً لا ريب فيه في آية أخرى أنه (إلا من ارتضى من رسول) .

فالكل حق والكل إيمان ومن أنكر شيئاً منهما فقد كفر بالقرآن.
فمن نفي مطلقاً ولم يثبت بوجه فقد كفر بآيات الإثبات ومن أثبت مطلقاً ولم ينف بوجه فقد كفر
بالآيات النافيات والمؤمن يؤمن بالكل ولا تتفرق به السبل .

نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم (**خمس لا يعلمهن إلا الله**) وقال الله عز وجل (**قل لا يعلم
من في السموات والأرض الغيب إلا الله**) فخصص الرسول وعمم الآله وإنا بكل مؤمنون ..

فإن الخصوص لا ينفى العموم فلا يعلم الخمس إلا الله ولا يعلم غيرها من الغيوب التي هي
أعلى وأشرف وأدق وألطف منها إلا الله بل لا يعلم أحد شيئاً إلا الله بل لا وجود حقيقياً إلا الله
وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد : (ألا كل شيء ما
خلا الله باطل) .

ولا يستطيع أحد أن يدعي أنه صلى الله عليه وسلم قد أحاط بجميع معلومات الله سبحانه
وتعالى فإنه محال للمخلوق ذلك .

دليل علمه الغيب صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الشريفة

قال الله تعالى : (**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض**) - حسبنا حديث البخاري
عن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه قال : (**قام فينا النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم**)

وحديث مسلم عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه في خطبته صلى الله عليه وسلم
من الفجر إلى الغروب وفيه : (**فأخبرنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا**)

وحديث الصحيحين عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : (**قام فينا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم مقاماً ما ترك شيئاً سيكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به**)

وحديث الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وفيه قوله صلى الله عليه وسلم (**فرأيتُه عز
وجل وضع كفه بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت**)

صححه البخاري والترمذي وابن خزيمة والأئمة بعدهم .

وحديثه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وفيه قول صلى الله عليه وسلم : (**فعلمت ما في السموات والأرض**) وفي أخرى (**فعلمت ما بين المشرق والمغرب**)

وحديث مسند الإمام أحمد رضي الله عنه وطبقات ابن سعد وكبير الطبراني بسند صحيح عن أبي ذر الفغاري ، وحديث أبي يعلى وابن منيع والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما قالوا : (**لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً**) .

وفي الصحيحين في حديث الكسوف (**ما من شيء لم أكن أريته إلا أريته في مقامي هذا**) أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وللطبراني في كبيره ونعيم ابن حماد في (كتاب الفتن) وأبي نعيم في (الحلية) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إن الله رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذا**) جليانا من الله تعالى جلاه لنبيه كما جلاه للنبيين من قبله (**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

إقراره صلى الله عليه وسلم وعدم إنكاره لمن نسب إليه علم الغيب من الله تعالى وقد أشد سواد بن قارب رضي الله تعالى عنه عند النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً :

وأنت مأمون على كل غائب * فأشهد أن الله لا شيء غيره

إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب * وأنت أدنى المرسلين شفاعاة

سواك بمغن عن سواد بن قارب * فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعاة

هكذا رواه في المسند وإن كانت الرواية الأخرى (لا رب غيره) بدلاً من (لا شيء غيره)

فسيدنا سواد بن قارب في مديحه :

1. نفى الوجود عن كل شيء سوى الله تعالى لأن (كل شيء هالك إلا وجهه) أو نفى ربوبية من سواه .
2. أثبت علم المغيبات لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث جعله أميناً على جميع الغيوب والجاهل بالشيء لا يكون أميناً عليه .
3. آمن بأن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أعطى الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم : (وأعطيت الشفاعة) .

(توضيح وبيان)

على أنه لا يجوز لأحد أن يدعي أن علمه صلى الله عليه وسلم مماثل ومساو لعلم الغيب أي واحد من أمته لأن الله تعالى عندما علمه أن يقول (إنما أنا بشر مثلكم) علمه أن يضيف إليها (يوحى إلي) وأينا يوحى إليه؟! وقد عاب الله تعالى في محكم كتابه على المشركين (ادعاء المثلية) مع الأنبياء وزعمهم إياها لقولهم (ما أنتم إلا بشر مثلنا) .

إن النبي صلى الله عليه وسلم علم الغيب المكتسب الحادث من علم الله تعالى الذاتي القديم بدليل ما سبق من قوله تعالى : (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) فقد امتن سبحانه وتعالى في هذه الآية على حبيبه صلى الله عليه وسلم بتعليمه ما لم يكن يعلم وختم الامتتان بما دل على عظمة تلك المنة العظمى وفخامة النعمة الكبرى فقال (وكان فضل الله عليك عظيماً) .

علم اللوح والقلم

وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نفهم ونتأول معنى قول الإمام البوصيري رضي الله عنه (ومن علومك علم اللوح والقلم) فقد قال العلامة علي القاري في (الزبدة) شرح البردة تحت البيت المذكور - توضيحه (أن المراد بعلوم اللوح ما أثبت فيه من النقوش القدسية والصور الخبيبية وبعلم القلم ما أثبت فيه كما شاء تعالى .

وما في اللوح المحفوظ إلا الدنيا فإن الآخرة بعد اليوم الآخر ووراءها ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته التي لا يسعها لوح ولا قلم وقد قال الله تعالى في الدنيا (قل متاع الدنيا قليل) فأنى يقع ما استقله الله تعالى مما استعظمه وكبر شأنه مع أن علمه صلى الله عليه وسلم قد

تعدى - حسب ما مر بنا من أحاديث شريفة صحيحة - علم ما كان وما سيكون في الدنيا ، إلى ما بعد اليوم الآخر من الحشر والنشر والحساب والكتاب ومشاهد ومواقف يوم القيامة مما بينه صلى الله عليه وسلم لأمته من تفاصيل ما هنالك من الثواب والعقاب إلى نزول الناس منازلهم من الجنة والنار إلى ما بعد ذلك مما شاء الله تعالى إعلامه له ، كما أنه صلى الله عليه وسلم علم من ذاته عز وجل وصفاته ليلة الإسراء والمعراج وقبلها وبعدها ما لا يحصى قدره إلا الله المانح تلك العطايا لمصطفاه ، وهكذا يمكن فهم وتأويل ما ذكره البوصيري من أن (علم ما كان وما سيكون المثبت في اللوح المحفوظ) بعض من علوم نبينا صلى الله عليه وسلم التي أطلع الله عليها .

والحاصل أن الشيخ ابن منيع أقام الدنيا وأقعداها على السيد المالكي عند نقله ما قاله البوصيري (ص 126 وغيرها) ولم يتأمل ويتأول بل سارع إلى القول بما أخفه عبارة أن خصمه - ولم يكن إلا ناقل عبارة - (ضال مضل متكب عن صراط الله المستقيم) .

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كيف نفهم الآية الكريمة وحديث (خمس لا يعلمهن إلا الله)

نعم قال الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير)

فهل في هذه الآية دليل على اختصاص الخمس بمولانا وربنا تبارك وتعالى شأنه وهل هي تدل على الحصر والقصر ؟

أجاب على هذا السؤال والتساؤل أحد العلماء المحققين فقال (1) إنه ليس في هذه الآيات دلالة اختصاص فضلاً عن خصوصية الاختصاص ..

فإنه تعالى عندما يقول (ينزل الغيث) ويقول (يعلم ما في الأرحام) فمجرد الذكر في مقام الحمد لا يوجب الاختصاص مطلقاً ..

فقد مدح الله سبحانه وتعالى نفسه بالسمع والبصر والعلم (بأنه السميع البصير العليم) ووصف بها عباده أيضاً (جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة)

ومن ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : (لا يضل ربي ولا ينسى)

والأنبياء أيضاً منزهون عن الضلال (يا قومي ليس بي ضلالة)

وقال تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة)
والأنبياء أيضاً مبرؤون عن الظلم (قال لا ينال عهدي الظالمين)

وفي (إرشاد الساري شرح صحيح البخاري) من تفسير (سورة الرعد) ما نصه : (ذكر
خمساً وإن كان الغيب لا يتناهى لأن العدد لا ينفي الزيادة) ا هـ .

وذكر البدر العيني في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) ما نصه (قال القرطبي لا
مطمع لأحد في هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث وقد فسر النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله
تعالى (وعندهن مفاتيح الغيب) بهذه الخمس ثم قال (فمن ادعى علم شيء منها غير مسند
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كاذباً في دعواه) فانظر كيف قصر (التكذيب) على
من لم يسند له صلى الله عليه وسلم .

الله تعالى اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على علم هذه الخمس

أ - إعلامه تعالى له بما في الأرحام

1. فقد أخرج الطبراني في الكبير وابن عساكر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم إبراهيم (مارية) القبطية وهي حامل منه
بإبراهيم (فذكر الحديث وفيه : أن جبريل أتاني فبشرني أن في بطنها غلاماً وهو أشبه الخلق
بي وأمرني أن أسميه إبراهيم وكناني بأبي إبراهيم) قال الإمام السيوطي في الجامع الكبير
سنده حسن .

2. أخرج الخطيب وأبو نعيم في (الدلائل) عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال
حدثتني أم الفضل قالت : (مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال إنك حامل بغلام فإذا
ولدت فأتيني به قالت : يا رسول الله أني لي ذلك وقد تحالفت قريش أن لا يأتوا النساء . قال :
هو ما أخبرتك قالت . فلما ولدته أتيت فأن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وألهاه من ريقه
وسماه عبد الله وقال : اذهبي بأبي الخلفاء فأخبرت العباس فأتاه فذكر له فقال :- هو ما
أخبرتها هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي . فقد علم صلى الله
عليه وسلم من علم ربه تعالى ما في الأرحام كما مر في هذين الحديثين .

3. بل روى الإمام مالك رضي الله عنه - ورواه الإمام البخاري مختصراً - عن أم
المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : إن أبا بكر رضي الله عنه نحلها جداد

عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال : يا بنيه والله ما من الناس أحد أحب إلي غنى منك ولا أعز علي فقرا بعد لي منك وإني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا فلو كنت جدته وأحرزته كان لك وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله فقالت :- يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ فقال :- ذو بطن بنت خارجة أراها جارية) . ولابن سعد في الطبقات : قال رضي الله عنه (ذات بطن ابنة خارجة قد ألقى في روعي أنها جارية فاستوصي بها خيراً فولدت أم كلثوم) .

4. وقد صح وثبت في أحاديث كثيرة صحيحة أن بالرحم ملكاً موكلاً يصور الولد ذكراً أو أنثى وحسناً وقبيحاً ويكتب أجله ورزقه وشقي أم سعيد . فهو يعلم ما في الرحم ويعلم من الله ما يجري عليه .

ب - إعلامه تعالى له بنزول الغيث والمطر

قال الإمام السيوطي في (الخصائص الكبرى) - باب إخباره صلى الله عليه وسلم عن السحابة التي أمطرت باليمن .

1. أخرج البيهقي عن ابن عباس قال : أصابتنا سحابة فخرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال :- إن ملكاً موكلاً بالسحاب دخل علي أنفاً فسلم علي وأخبرني أنه يسوق السماء إلى واد باليمن يقال له (ضريح) فجاءنا راكب بعد ذلك فسألناه عن السحابة فأخبر أنهم مطروا في ذلك اليوم .

قال البيهقي وله شاهد مرسل عن بكر بن عبد الله المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن ملك السحاب أنه يجيء من بلد كذا وأنهم مطروا يوم كذا وأنه صلى الله عليه وسلم سأله متى تمطر بلدنا ؟ فقال يوم كذا وعنده ناس من المنافقين فحفظوه ثم سألوا عن ذلك فوجدوا تصديقه فأمنوا وذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم (زادكم الله تعالى إيماناً) .

2. وهذا نبي الله يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام يقول لأهل مصر : (تزرعون سبع سنين دأباً) ويقول (يأتي من بعد ذلك سبع شداد) وثم يقول (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) .

ج - شواهد غيبية أخرى له صلى الله عليه وسلم

3. وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم عن ربه أنه وفاته بالمدينة فقد قال للأنصار الكرام (**المحيا محياكم والممات مماتكم**) رواه مسلم عن أبي هريرة .
4. وقال لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن (**يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري**) رواه الإمام أحمد في مسنده .
5. وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه : (**ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا قال فما ماط أي ما زال وما تجاوز أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي حديث أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه) والذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الإمام مسلم (أ.هـ) .**

إخباره صلى الله عليه وسلم بشيء من المغيبات

المعلوم أن اسم النبي مشتق من (النبوة) أو (النبوءة) وهي التنبؤ بالعلم الغيبي الغائب عن غيره من البشر نقلاً عن ربه تعالى الذي زوده بها (حجة له على قومه) .

ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم اطلاعه على المغيبات وإخباره عنها فكان يظهر ذلك كفلق الصبح وقد وصلت أخبارها إلينا بالتواتر القطعي الذي لا يقبل الجحود ولا يمكن فيه شيء من الحممة ، وتلك الأخبار السعيدة كثيرة لا تعد .

وقد مر بنا منها أنه روي عنه حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه (أي هذا الخبر) أصحابي هؤلاء من الصحابة الحاضرين ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأعرفه وأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا أراد عرفه .

ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه ؟

والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تتقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته ، رواه الشيخان .

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه قال : **لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً** (أي أفهمنا من ذلك الطائر أو تحريكه شيئاً من الأحكام إجمالاً أو تفصيلاً) رواه أحمد بن حنبل والطبراني بسند صحيح وأبو يعلى وابن منيع عن أبي الدرداء وهو عن أبي ذر رضي الله تعالى عنهم .

وفيما أخرجه أهل الصحيح كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم والإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل : **أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم أصحابه أموراً كثيرة من الغيوب ووعده بظهورها، فأخبر عن ظهورهم وغلبتهم على أعدائهم فظهروا وغلبوا وفق إعلامه وإخباره عليه من الله أتم الصلاة والسلام** كما رواه الشيخان بلفظ تخريجهما .

وأخبر عليه السلام أيضاً عن فتح مكة فوق فتحها في حياته الشريفة عليه أجل وأزكى السلام ، وهذا معروف عند المفسرين والمحدثين وأصحاب التواريخ ورواه الشيخان أيضاً بلفظهما .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن فتح بيت المقدس فوق الفتح كما أخبر رواه البخاري بلفظه عن عوف بن مالك .

وأخبر عن فتح اليمن والشام والعراق فوق الفتح في كل منها وفق إخباره عليه من الله السلام كما رواه الشيخان أيضاً بلفظ تخريجهما .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن ظهور الأمن حتى تظعن المرأة (أي ترحل وتسير) من الحيرة بكسر المهملة ومدّها (مدينة بقرّب الكوفة) إلى مكة لا تخاف إلا الله رواه البخاري بلفظه .

وأخبر عليه السلام أيضاً بأن المدينة ستغزى (أي ستحارب وتقاتل) رواه الشيخان بلفظهما .

وهنا يقتضي التوفيق بين كلام الإمام النووي والإمام التلمساني ، لأن الأول ذهب إلى أن تلك المحاربة تقع قرب الساعة ، وذهب الثاني إلى أنها وقعت في زمن يزيد بن معاوية ، فإنه قد أرسل عسكره من الشام إلى المدينة ، فنهبها وحاربوا أهلها ، وتلك المحاربة معروفة قد وقعت في الحرة بفتح الحاء المهملة أرض ذات حجارة سود في ظاهر المدينة قتل فيها كثير من أبناء المهاجرين والأنصار وكانت تلك الواقعة في ذي الحجة سنة ثلاث وستين بعد الهجرة وعقبها هلك يزيد فالتوفيق بين كلاميهما بأن المحاربة التي أخبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام مطلقة إذ لم يتعين زمان وقوعها في إخباره عليه الصلاة والسلام فيمكن وقوع

المحاربة مرتين ، مرة في قرب الساعة كما ذهب إليه الإمام النووي ، ومرة في زمن يزيد بن معاوية على ما ذهب إليه الإمام التلمساني . (1)

وأخبره عليه الصلاة والسلام أيضاً عن فتح خيبر على يد علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه وعليه السلام في غد يومه كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام قال لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا علياً وكان أرمم فبصق في عينيه فبرأ وفتح الله على يديه .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها (أي يعطون من بهجتها ورونقها من كثرة المال وسعة الجاه ويقسمون كنوز كسرى وقيصر) كما رواه الشيخان بلفظهما .

فوقع كل ما ذكر وفق ما أخبره به عليه الصلاة والسلام عن الغيب بطريق خرق العادة والمعجزة .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عما يحدث بين أمته من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم ، وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة والناجية منها واحدة فظهر صدق إخباره عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً بأن أمته سيكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى ، ويوضع بين يديه صفحة (أي قصعة طعام) وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ، وأنتم اليوم خير منهم يومئذ .

والأنماط بفتح الهمزة جمع نمط وهو نوع فراش ويغشى به اليهودج .

وهنا معجزة جلييلة فإنه أخبر كما يرى عليه الصلاة والسلام وظهر لنا الذي رآه عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام بعد حين ، فإن الكثير من الأمة المحمدية في الأقطار السائرة يسترون بيوتهم بأنواع الأقمشة ، ويرفعون فوق روازنها وأبوابها الأستار ، ويجعلون الأنماط على الأسرة المعدة لمنامهم تغشى بها كما يغشى اليهودج ، وقد سرى هذا في الممالك الإسلامية بين أولي الرفاهية من الأجناس المختلفة من العرب والعجم ، فالحمد لله الذي صدق نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ما وعد .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً بأن أمته إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم .

والمطيطاء بضم الميم وفتح طائين مهملتين بينهما ياء ساكنة ، والكلمة ممدودة وهي مشية بالتبخر والخيلاء .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن قتال أمته الترك والخزر والروم عن ذهاب كسرى وفارس وقيصر حتى لا كسرى ولا فارس ولا قيصر بعد ذهابهم رواه الشيخان بلفظ الحديث بدون فارس .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن وقوع شر قريب للعرب حيث قال ويل للعرب من شر قد اقترب . رواه الشيخان عن أم المؤمنين زينب رضي الله تعالى عنها.

وهذا وقع للعرب في شهادة سيدنا عمر وفي فتنة سيدنا عثمان وفي واقعة سيدنا علي المرتضى رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وتبع هذا واقعة الإمام الحسين سلام الله ورضوانه عليه ، ولعله استكمل في واقعة التتار وهجومهم على بغداد وإزالة الخلافة الإسلامية ، حتى بقي المسلمون ثلاثة أعوام بلا خليفة والعياذ بالله تعالى له الحكم وإليه ترجعون ، وقد ظهر ظهور الشمس الطالعة صدق إخباره من ربه أكمل الصلاة وأتم الصلاة .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن بلوغ ملك أمته إلى مشارق الأرض ومغاربها على ما رواه مسلم عن ثوبان أن النبي عليه السلام قال إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها .

والمعنى زويت لي جملة الأرض مرة واحدة وستفتحها أمتي جزءً فجزءً حتى تملك جميع أجزائها ، فبلغ ملك هذه الأمة إلى مشارق الأرض ومغاربها ولم يمتد ملك هذه الأمة في الجنوب والشمال مثل امتداده في المشارق والمغرب إذ لم يقتض هذا الحديث ذلك الامتداد ، فظهر ها هنا أيضاً صدق إخباره عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه أكمل السلام أيضاً عما ينال أهل بيته (أي يصيبهم من المحن) كقصة الحسن والحسين وبقية أهل البيت وتقتيلهم وتشريدهم على ما رواه الحاكم بلفظ الحديث .

وأخبر عليه السلام أيضاً عن نباح كلاب الحوآب على بعض أزواجه وكان ، فإن عائشة رضي الله تعالى عنها لم توجهت للصالح بين علي ومعاوية فلم تقدر على إصلاح ما بينهما

فنبحت كلاب الحوآب عليها كما رواه أحمد بن حنبل والبيهقي بلفظ الحديث فظهر ها هنا أيضاً صدق إخباره عليه السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن القتلى الكثيرة حول بعض أزواجه وهي عائشة . وأخبر عن نجاتها كما رواه البزار بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

وقد ذكر بعض أهل الحديث أن القتلى يومئذ حول عائشة صارت مقدار ثلاثين ألفاً من الناس فنجت ونبحت كلاب الحوآب عليها .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن قتل سيدنا علي رضي الله تعالى عنه ، وأخبر عن الأشقى الذي يخضب لحية علي بدم رأسه رواه أحمد بن حنبل والطبراني بلفظ الحديث .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن ملك بني أمية كما رواه الإمام الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله عنهما وأيضاً رواه البيهقي عن سعيد بن المسيب وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن خروج بني العباس بن عبد المطلب بالرايات السود وعن ملكهم أضعاف ما ملكوا فظهر صدق إخباره عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه أكمل السلام عن قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، قال يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وإن الله عصى أن يلبسه قميصاً وإنهم يريدون خلعه وإنه سيقطر دمه على قوله تعالى (فسيكفيهم الله) فوق كل ذلك .

وأخبر عليه أتم السلام أيضاً بأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حياً . فلم تظهر الفتن في حياته .

وأخبر بأن عمراً تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية .

وأخبر عليه أشرف السلام لجماعة فيهم أبو هريرة وحذيفة وسمرة ابن جندب بأن آخركم موتاً في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتاً هرم وضعف حتى أصابه ضرر في بدنه وخلل في عقله فاصطلى بالنار ، فاحترق فيها . فظهر أيضاً صدق إخباره عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه أجل السلام بأنه يكون في ثقيف كذاب ومبير . فظهر في قبيلة ثقيف المختار بن عبيد كذاباً ، والحجاج كليب بن يوسف مبيرا (أي مهلكاً قتالاً ظالماً) .

وأخبر عليه السلام بأن مسيلمة الكذاب يعقره الله (أي يقتله) فقتل في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

وأخبر عليه أجزل السلام بأن فاطمة بنته عليه السلام أول أهله لحوقاً به . فكان الأمر كذلك ، فإنها لحقت به بالموت بعد ستة أشهر ولم يسبق موتها أحد من أهله .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً بأن الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً (أي سلطنة) فكانت .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً بشأن أويس القرني فظهر شأنه وفق ما أخبر به عليه السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام في غزوة المصطلق بموت منافق في المدينة حين هاجت الريح فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا الأمر كذلك .

وأخبر عليه الصلاة والسلام لقوم من جلسائه بأن ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد . قال أبو هريرة فذهب القوم (يعني ماتوا) وبقيت أنا ورجل وارتد فقتل مرتداً يوم اليمامة العياذ بالله تعالى .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بالرجل الذي غلّ خرزاً من خرز يهود فوجد الخرز في رحله .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بالرجل الذي غلّ الشملة وأخبر بمكانها فوجدت تلك الشملة حيث أخبر به عليه السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً بمكان ناقته التي ضلت وغابت، وأخبر كيف تعلقت بالشجرة بخطامها فوجدوها على وفق ما أخبر عليه السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً بقضية عمير مع صفوان ، وهي أنه كان صفوان يقول في خلوته سرّاً يا عمير إن قتلت محمداً فأنا أعطيك شيئاً كثيراً فلما جاء عمير إلى النبي عليه السلام قاصداً لقتله أخبره بجميع ما جرى بينه وبين صفوان من الأسرار التي وقعت بينهما فأسلم في حضوره الكريم عليه من الله أكمل السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتّمه فقال العباس ما علمه غيري وغيرها فأسلم . رواه أحمد بن حنبل والحاكم والبيهقي بلفظ تخريجهم .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بأنه سيقتل بيده الشريفة أبي بن خلف فكان الأمر كذلك (أي قتله النبي عليه أجل السلام بيده الشريفة) .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن مصارع كفار قريش في غزوة بدر بقوله عليه السلام هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان أي مقتله فذكر عليه الصلاة والسلام المقتولين بأسمائهم ومواقع قتلهم قبل الوقوع ، فوق قتل كل منهم في الموضع الذي أخبر به عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه أتم السلام عن واقعة الإمام الحسن بن الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، فقال عليه الصلاة والسلام إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين رواه الشيخان فظهر .

وأخبر عليه أكمل السلام أيضاً عن تأخير الموت عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه حين مرض بمكة ، فقال في حال مرضه يا رسول الله أأخلف عن أصحابي ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام (أي من الأبرار) ويستضر بك آخرون (أي من الفجار) رواه الشيخان بلفظ تخريجهما ، فأخر عنه الموت مثل ما أخبر عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن موت أمراء المسلمين في غزوة مؤتة يوم موتهم بأسمائهم وهو عليه أعم السلام في المدينة وهم قتلوا في مؤتة بينها وبين المدينة مسافة شهر تقريباً ، لأن مؤتة بلدة من بلاد الشام في آخر حوران ، فقال عليه السلام في المدينة يوم ماتوا أخذ الراية زيد ابن حارثة فأصيب ، ثم جعفر بن أبي طالب فأصيب ، ثم عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح الله عليه يديه رواه الشيخان . قوله من غير إمرة (أي بلا ولاية ولا إمارة يومئذ) .

وأخبر عليه أكمل السلام عن موت النجاشي يوم مات بأرض الحبشة وبينها وبين المدينة مسيرة شهر تقريباً رواه الشيخان بلفظ تخريجهما .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن موت كسرى يوم مات وهو عليه أتم السلام في المدينة وكسرى في العراق وبينهما مسيرة أربعين يوماً تقريباً رواه البيهقي بلفظ تخريجه .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن لبس سراقه بن مالك سواري كسرى فقال عليه السلام له كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ رواه

البيهقي وقد جيء بسواري كسرى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في زمن خلافته فألبسهما سراقه بن مالك فقال الحمد لله الذي سلبهما عن كسرى وألبسهما سراقه ، وفي إلباس عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه سواري كسرى لسراقه إيذان منه إلى كمال شرف الإيمان بحيث إن واحداً من بدو العرب يستحق بسبب إيمانه لبس ما يلبسه ملوك العجم للافتخار به .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن عيش أبي ذر رضي الله تعالى عنه فريداً في آخر عمره ، وعن موته فريداً بفلاة من الأرض وحضور عصابة (أي جماعة) على جنازته ، فوقع كل ذلك وهذا مضمون حديث رواه أحمد بن حنبل والبيهقي وابن راهوية وابن أبي أسامة .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن عضواً من زيد بن صوحان يسبقه إلى الجنة ، فقطعت يده في الجهاد رواه البيهقي .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن أسرع أزواجه لحوقاً (أي وصولاً إليه) بعد موته أطولهن يداً فكانت زينب بنت جحش أسرعهن لحوقاً به عليه الصلاة والسلام لطول يدها بالصدقة رواه مسلم بلفظ تخريجه .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن قتل سيدنا الحسين بن سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما بالطف ، وأخرج عليه السلام بيده تربة (أي قبضة من التراب) وقال فيها مضجعه (أي مقتله أو مدفنه) رواه البيهقي ، ولفظ حديثه أن جبريل كان عند النبي عليه السلام فدخل حسين رضي الله تعالى عنه فقال جبريل من هذا ؟ يعني استخبر عنه لبيان أمر سيكون لا لعدم علمه فقال عليه السلام ابني ، فقال جبريل ستقتله أمك وإن شئت أخبرتك بالأرض التي يقتل فيها فأشار جبريل بيده إلى الطف من العراق فأخذ تربة حمراء فأراه إياها ، فسبحان الذي أظهر لرسوله المكرم أسرار ملكه ، وعجائب جبروته ، وصرفه في عوالم ملكوته ، وجعله أعظم آياته ، وسيد مخلوقاته.

وقد عد أناس من أهل العلم الواسع بالأخبار النبوية للحضرة المحمدية الفريدة السعيدة أكثر من
ستة آلاف معجزة (١ . هـ . (1)

خلاصة ومختصر (الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم الغيب)

قال تعالى : (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وقال حكاية عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (ولا أعلم الغيب) وقال أيضاً (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) . إننا نعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا ريب أن علم الغيب يختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى إما بوحى أو إلهام .

فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الإنباء بالغيوب ليس إلا من إعلام الله له به للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته صلى الله عليه وسلم وقد اشتهر وانتشر أمره صلى الله عليه وسلم بالإطلاع على الغيب حتى كان يقول بعضهم لبعض : (أسكت فو الله لو لم يكن عندنا من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء) .

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيام كأني أنظر إلى كفي هذه) . قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

إذا انشق معروف من الصبح ساطع * وفينا رسول الله يتلو كتابه

به موقنات أن ما قال واقع * أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :-

ويتلو كتاب الله في كل مشهد * نبي يرى ما لا يرى الناس حوله

فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد * فإن قال في يوم مقاله غائب

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نساتنا مخافة أن ينزل فينا شيء فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم تكلمنا) .

وأخرج البيهقي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : تالله لقد كان أحدنا يكف عن الشيء مع امرأته وهو وإياها في ثوب

واحد تخوفنا أن ينزل فيهم شيء من القرآن) ومعجزات هذا الباب لا يمكنك استقصاؤها لكثرتها ووقعها منه صلى الله عليه وسلم في اكثر حالاته عن سؤال وغير سؤال لمناسبات كانت تقتضيها وهي اكثر انواع معجزاته صلى الله عليه وسلم عددا .

قال القاضي عياش في الشفاء : (وعلمه الغيب صلى الله عليه وسلم من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة روايتها واتفاق معانيها) ا . هـ .

وروى الامام احمد والطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال : (تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه إلا نذكر لنا منه علما) .

وروى مسلم عن عمرو بن الخطاب الانصاري رضي الله عنه قال قال (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة فأعلمنا أحفظنا) .

وروى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وقد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فإراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه) .

وروى مسلم عن حذيفة ايضا قال : (أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فما منه شيء إلا وقد سألته عنه إلا أنني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة) .

وروى ابو داود عن حذيفة ايضا قال : (والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تتقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته) .

واخرج ابو يعلي بسند صحيح عن انس رضي الله عنه قال : **خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان فخطب الناس فقال : (لا تسألوني عن شيء اليوم إلا أخبرتكم به) ونحن**

نرى أن جبريل معه فقال عمر : (يا رسول الله إنا كنا حديثي عهد بجاهلية فلا تبد علينا
سواءتفا فاعف عنا عفا الله عنك) .

واخرج ابو يعلى بسند لا بأس به عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يزال هذا الحي من قريش آمنين حتى يردوهم عن دينهم
كفاراً) فقام إليه رجل فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار ؟ قال : في الجنة . ثم قام
إليه آخر فقال : أفي الجنة أنا أم في النار ؟ قال في النار . ثم قال : (اسكتوا عني ما سكت
عنكم فلولا أن لا تدافنوا لأخبرتكم بمأ من اهل النار حتى تعرفوهم ولو أمرت أن افعل لفعلت
). (

مفاتيح الغيب والخمس في قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة)

قال الله تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) .

قال القرطبي في تفسيره : فانه تعالى عنده علم الغيب ، وبيده الطرق الموصلة إليه لا يملكها
إلا هو ، فمن شاء اطلعه عليها اطلعه ، ومن شاء حجبها عنها حجبها ، ولا يكون ذلك من
إفاضة إلا على رسله بدليل قوله تعالى : (وما كان الله ليطالعكم على الغيب ولكن الله يجتبي
من رسله من يشاء) وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا إلا من ارتضى من
رسول) .

قال علماؤنا : أضاف سبحانه عالم الغيب إلى نفسه في غير ما آيته من كتابه إلا من اصطفى
من عباده .

وقد قال بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى اطلع نبيه على هذه الخمس أيضا وانه لا يخرج
من هذه الدنيا حتى عرفها كما نقل ذلك الحافظ السيوطي إذ قال : (ذهب بعضهم إلى انه
صلى الله عليه وسلم : أوتي علم الخمس أيضا وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكنتم ذلك
(الخصاص الكبرى ج 3 / ص 160) .

وكذلك أيضا قال الشيخ ابراهيم الباجوري في حاشيته على البردة ص 81.

وكذلك أيضا قال الشيخ أحمد بن محمد الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين . قال ما
نصه :

والحق انه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى اطلعه على تلك الخمس ولكنه أمر بكتمها (ج 3 ص 244) .

وذكر الامام فخر الدين الرازي في تفسيره كلاما محصله أن نفي العلم بهذه الأمور الخمسة عن غير الله سبحانه وتعالى ليس مقصودا ولا وجه لاختصاص هذه الاشياء بالذكر لأن هذا جاء في سياق خاص لاثبات معنى خاص (تفسير الرازي 25 / 164) .

وفصل هذا المعنى الامام العلامة محمود الالوسي في (روح المعاني) (112 / 21) بقوله : والذي ينبغي أن يعلم كل غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل وليس المغيبات محصورة بهذه الخمس وانما خصت بالذكر لوقوع السؤال عنها أو لأنها كثيرا ما تشتاق النفوس إلى العلم بها ، وقال القسطلاني : ذكر صلى الله عليه وسلم خمسا وان كان الغيب - لا يتناهى لأن العدد لا ينفي زائدا عليه ولأن هذه الخمسة هي التي كانوا يدعون علمها . ا هـ .

وفي شرح المناوي الكبير للجامع الصغير في الكلام على حديث بريدة : خمس لا يعلمن إلا الله أي على وجه الاحاطة والشمول كلياً وجزئياً فلا ينافيه اطلاع الله تعالى بعض خواصه على بعض المغيبات حتى من هذه الخمس لأنها جزئيات معدودة . وانكار المعتزلة لذلك مكابرة . ا هـ .

وذكر القسطلاني انه عز وجل اذا امر بالغيب وسوقه إلى ما شاء من الاماكن علمته الملائكة الموكلون به ومن شاء سبحانه من خلفه عز وجل . وكذلك اذا اراد تبارك وتعالى خلق شخص في رحم يعلم سبحانه الملك الموكل بالرحم بما يريد جل وعلا كما يدل عليه ما اخرجه البخاري عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **" إن الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقول : يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فإذا أراد الله تعالى أن يقضي خلقه قال : أذكر ام انثى شقي ام سعيد فما الرزق والاجل ؟ فيكتب في بطن امه فحينئذ يعلم بذلك الملك ومن شاء الله تعالى من خلقه عز وجل "**

وهذا لا ينافي الاختصاص والاستثناء بعلم المذكورات بناء أن المراد بالعلم الذي استأثر سبحانه به العلم الكامل بأحوال كل على التفصيل فما يعلم به الملك ويطلع عليه بعض الخواص يجوز أن يكون دون ذلك العلم بل هو كذلك في الواقع بلا شبهة ، وقد يقال فيما يحصل للأولياء من العلم بشيء مما ذكر انه ليس بعلم يقيني .

وقد نقل العسقلاني في فتح الباري (ج أ ص 123) عن القرطبي

أنه قال من ادعى علم شيء من الخمس غير مسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كاذبا في دعواه .

(الساعة)

قال الشيخ الألويسي : ويجوز أن يكون الله تعالى قد اطلع حبيبه عليه الصلاة والسلام على وقت قيامها على وجه كامل لكن لا على وجه يحاكي علمه تعالى به إلا انه سبحانه اوجب عليه صلى الله عليه وسلم كتمه لحكمة ويكون ذلك من خواصه عليه الصلاة والسلام وليس عندي ما يفيد الجزم بذلك .

(الروح)

قال الله تعالى : (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) .

قال الحافظ في الفتح ، قال بعضهم : ليس في الآية دلالة على أن الله لم يطلع نبيه على حقيقة الروح ، بل يحتمل أن يكون اطلعه ولم يأمره انه يطلعهم وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا .

(فتح الباري شرح صحيح البخاري في كتاب التفسير ج 8 / ص 403)

(وكذا إرشاد الساري شر البخاري ج 7 ص 213)

وعليه فلا مانع من القول بأن الله تعالى اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على حقيقة الروح واذا كان بعض علماء السلف تكلم عن الروح مما يدل على أن مع القائل علما أو بعض علم عنها فكيف به هو صلى الله عليه وسلم . فهذه كتب التفسير تنقل عن ابن عباس وعلي بن ابي طالب وقتادة والسهيلي أقوالا متعددة في الروح ، فقيل الروح جبريل وقيل ملك عظيم وقيل ملائكة على صور بني ادم وقيل ملائكة لكن لا تراهم الملائكة .

(انظر ابن كثير ج 3 ص 61 وغيره من التفسير)

فهل هؤلاء العلماء تكلموا في الروح بما تستحيل معرفته على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن هنا نقل الامام الحافظ جلال الدين السيوطي (في الخصائص الكبرى ج 3 ص 160)
أن الله سبحانه وتعالى اطلع نبيه على حقيقة الروح .

وبهذا ظهر أن القائل بأن الله تعالى اطلع نبيه حتى على هذه الخمس معه دليل مستنبط أو شبهة
دليل فان كان ذلك الدليل صحيحا وموصلا إلى المطلوب فيوصف القائل بأنه مصيب وان كان
ذلك الدليل فاسدا لا يتوصل به إلى المطلوب فغاية ما يوصف به قائله بأنه مخطئ ولا يصل
به الحال إلى الكفر والعياد بالله .

ورضي الله عن الامام الشافعي فانه قال : (أن الله لا يعذب على فعل اختلف فيه العلماء) .

الفصل الرابع

مكانة ورفعة قدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إن أول من يجوز الصراط بآمته ويشرفه بنظرته ، وينوره للمؤمنين ليسيروا في ضيائه وعلى محجته - هو سيدنا محمد إمام الانبياء والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين الذين جمع الله تعالى له فضائل الأوليات الجامعة لأكمل المراتب وأعلى الدرجات .

فهو صلى الله عليه وسلم أول الانبياء في الخلق في عالم الارواح واخرهم في البعث في عالم الاشباح .

والدليل على أن أول الارواح البشرية خلقا هو روح السيد الاعظم صلى الله عليه وسلم انه اخبر على ذلك بقوله : **" كنت أول الناس في الخلق واخرهم في البعث "** رواه ابن سعد مرسلا بإسناد صحيح .

ورواه ابو نعيم وابن ابي حاتم في تفسيره وابن لال والديلمي كلهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ: **" كنت أول النبيين في الخلق واخرهم في البعث "** .

وهذه الرواية تفسير رواية ابن سعد وان المراد من الناس الانبياء ، فهو صلى الله عليه وسلم اولهم في عالم الارواح وخاتمهم في عالم الاشباح صلى الله عليه وسلم ، وقد نبأه الله تعالى في عالم الارواح قبل الانبياء كلهم ، فبه فتحت النبوة في عالم الارواح وبه ختمت في عالم الارواح صلى الله عليه وسلم . فهو الفاتح وهو الخاتم .

روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : **يا رسول الله ، متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وأدم بين الروح والجسد .** وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب ورواه ابو نعيم والبيهقي والحكم وصححه ، ورواه البزار والطبراني وابو نعيم ايضا من رواية ابن عباس رضي الله عنهما .

وعن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال: **" كنت نبيا وأدم بين الروح والجسد "** رواه الامام احمد والبخاري في التاريخ والطبراني والحاكم وصححه وقال الحافظ الهيثمي في رجال احمد والطبراني : رجالهما رجال الصحيح . ا هـ .

وهو صلى الله عليه وسلم اول من تتشق عنه الارض كما روى مسلم وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انا سيد ولد ادم يوم القيامة ، وانا اول من ينشق عنه القبر ، وانا اول شافع واول مشفع " .

وهو صلى الله عليه وسلم اول شافع واول مشفع :

روى الترمذي وغيره عن ابي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر ويبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه إلا تحت لوائي وانا اول من تتشق عنه الارض ولا فخر ، وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر " . قال الزرقاني عنه حسن صحيح وكذا رواه احمد وابن ماجه .

وهو صلى الله عليه وسلم - اول من نبأه الله تعالى في عالم الارواح قبل الانبياء كلهم كما جاء في سنن الترمذي وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ، وفي رواية متى استنبئت ، وفي رواية متى كنت نبيا ، فقال صلى الله عليه وسلم : " كنت نبيا وادم بين الروح والجسد " .

وهو صلى الله عليه وسلم اول من يؤذن له حين يستأذن على ربه وهو اول من يسجد لربه .

روى الامام احمد عن ابي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " انا اول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود واول من يرفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الامم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك - فقال رجل : يا رسول الله : كيف تعرف أمتك من بين الامم فقال صلى الله عليه وسلم : هم غر مخجلون من اثر الوضوء ليس احد كذلك غيرهم واعرفهم انه يؤتون كتبهم بأيمانهم واعرفهم تسعى ذريتهم بين ايديهم " الحديث .

وهو صلى الله عليه وسلم أول من يفتح له باب الجنة وهو اول من يدخلها والكل يدخلونها من ورائه صلى الله عليه وسلم .

روى مسلم والترمذي عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن : من؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك امرت أن لا افتح لأحد قبلك " .

تعظيمه صلوات الله عليه عند ذكر اسمه الشريف

كتب فضيلة الاخ الشيخ محمد سليمان فرج رسالة بعنوان (دلائل المحبة وتعظيم المقام في الصلاة والسلام على سيد الانام) جاء فيها أن ذكر لفظ السيادة عن ذكر اسمه الشريف امر واجب على كل مسلم محب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك من رفعة ذكره وتعظيم قدره وقد امر الله تعالى المؤمنين أن يعلوا قدره ويوقروا شأنه ولا ينادوه باسمه الشريف مجردا من التكريم والتبجيل قال الله تعالى :

(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) سورة النور .

قال الصاوي في تفسيره : لا تجعلوا دعاء الرسول أي ندائه بمعنى لا تتادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير ونستفيد من الآية انه لا يجوز نداء النبي صلى الله عليه وسلم بغير ما يفيد التعظيم لا في حياته ولا بعد وفاته فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر معلون في الدنيا والاخرة .

وروى ابن جرير عن قتادة في هذه الآية الشريفة أن الله امرهم أن يفخموه ، ويشرفوه .

وقال السيوطي في الاكليل في استنباط التنزيل عند ذكر هذه الآية الكريمة : تحريم ندائه باسمه بل يقال يا رسول الله يا نبي الله والظاهر استمرار ذلك بعد وفاته .

وجاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري : انه صلى الله عليه وسلم وان كان ذا سلم وكنى لكن لا ينبغي أن ينادي بشيء من تلك فيحرم نداؤه بها لقوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) مثل يا محمد ويا احمد ويؤيده قول الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يقولون يا احمد يا ابا القاسم فنهاهم

الله عز وجل اعظاما لنبيه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبي الله يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وقد اتفق أئمة الاسلام وفقهاء المذاهب ونصوا على تحريم ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه اخذا من هذه الآية الشريفة .

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير لذلك المعنى قال الله تعالى : " فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون " فهذا الثناء بالفلاح من الله تعالى للذين يعزروه أي يعظمونه ويجلونه بكل ما يرفع قدره ويعبر عنشرف مكانته العالية وان ذكر اسمه الشريف مجردا من لفظ السيادة لا يتفق مع التعظيم اللائق بجنابه الكريم وقال الله تعالى ايضا :

"لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ يَا رَسُولَهُ وَتَعَزَّرُوهُ وَتُوقِرُوهُ" سورة الفتح .

وقرئ وتعزروه من التعزيز والتقدير ادبا وتخلقا بأخلاق القرآن حيث ناداه الله تعالى بقوله " يا ايها النبي " و " يا ايها الرسول " ولم يوجه له النداء باسمه صوات الله وسلامه عليه وبين انه سبحانه رفع ذكره بين العالمين .

قال الله تعالى : " ورفعنا لك ذكرك " سورة الانشراح .

استحقاقه للسيادة صلى الله عليه وسلم :

ورفعة الذكر تكون بألفاظ التعظيم وألقاب التكريم ومنها السيادة التي جرى العرف بها بين الناس وبذلك نكون مأمورين بها عند ذكره ومنهيين عن ضدها وهو ذكر الاسم الشريف مجرداً عنها لأنه بدونها غير مرفوع .

وان ذكر السيادة يجب من باب سد الذرائع حتى لا يتوصل به الملاحدة إلى إهانتة وقد نص الإمام الشافعي رضي الله عنه على كراهة قول المرء قال الرسول - بالألف واللام - وأن الأولى والمستحب والمرغوب هو أن يقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإضافة التي هي غاية التشريف ونهاية الفخر والتعظيم لأن في اللفظ المقطوع عن هذه بالإضافة إيهاماً للنقص لاحتمال أن يراد به رسول غير الله تعالى فيتوصل به الملاحدة والزنادقة إلى ذكره بغير الرسالة يوهمون أنهم يقصدون رسول الله تعالى .

والواقع أنهم يقصدون غير ذلك .

فسداً لهذه الذريعة مع ما فيه من سوء الأدب بعدم ذكره بالإضافة المشرفة رأى الإمام الشافعي

ذلك وأن ذكر اسمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه مجرداً عن السيادة هو اليوم في عرفنا مثل ذلك بل أشد .

ولذلك ترى المستشرقين وممن لا خلاق لهم هم الذين يذكرون الاسم الشريف مجرداً .

وعلى ذلك فلا يجوز ذكره عليه الصلاة والسلام من غير السيادة للتشبه بالكفار وإتباعهم في أهوائهم لأنهم يذكرون النبي صلى الله عليه وسلم باسمه مجرداً على سبيل الاستهانة به قال الله تعالى :

" وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون " سورة التوبة .

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي بالمسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيتته فقلت يا رسول الله : إني كنت أصلي فقال عليه الصلاة والسلام : " ألم يقل الله تعالى " استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم .. " سورة الأنفال .

فإذا كانت إجابته مفروضة علينا ونحن بين يدي الله تعالى وما ذلك إلا مراعاة للأدب معه صلى الله عليه وسلم ومراعاة حرمة فذكره بالسيادة مطلوب من باب أولى، وقد قال بعض المفسرين عند قوله تعالى : " وقولوا للناس حسناً " المراد بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحسن الحسن كما قرئ به ومن الحسن الذي نقوله للناس سيدي ومولاي فثبت من الآية الكريمة مطلوبة قول ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى .

وأما ما يتعلل به الذين لم يتذوقوا قطرة من صافي شراب محبته صلوات الله وسلامه عليه على عدم إطلاق السيادة له صلى الله عليه وسلم فهو الحديث الشريف " السيد الله .. " وقد أجاب عنه العارف بالله ابن عجيبة في حاشيته على الجامع الصغير بأن الحديث يبين أن الله هو الذي يحق له السيادة المطلقة إذ الخلق كلهم عبيده وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لما خوطب بما يخاطب به رؤساء القبائل من قولهم أنت سيدنا ومولانا وكانوا قريبي عهد بالإسلام وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمكن العقيدة في نفوسهم بأن الخضوع التام للمالك الحقيقي وهو الله سبحانه. وقد نقل عن الإمام مالك رضي الله عنه امتناع إطلاق السيد على الله إلا إذا أريد بيان هذا المعنى الذي قصده صلى الله عليه وسلم ، ومما لا شك فيه أن هذه التشبهة ليس فيها أي احتمال للاستدلال على عدم إطلاق السيادة لأن الله تعالى مدح سيدنا يحيى عليه السلام بقوله سبحانه :

" وسيدا وحصورا ونبياً من الصالحين " سورة آل عمران .

فإن ثبت لسيدنا يحيى كان لسيدنا رسول الله صلى الله عليه من باب أولى وكنا مأمورين بطريق الإشارة الواضحة بل أن القرآن الكريم عبر عن لفظ السيد في غير ذلك الموضع في حق من لا يملكون الرفعة .

قال تعالى : " وألفيا سيدها لدى الباب " سورة يوسف

" إنا أطعنا سادتنا ، وكبراءنا " سورة الأحزاب .

وكذلك لفظ المولى قال تعالى : " يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً " سورة الدخان .

وكذلك تواترت السنة النبوية الشريفة في هذا المضمار وجاءت الأحاديث الكثيرة التي تطلق لفظ السيد على غير الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" كل بني آدم سيد والرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها " قال الذهبي رواه ثقات

وكذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" وليقل المملوك سيدي وسيدتي فإنهم المملوكون والرب الله عز وجل "

وفي رواية أبي داود أيضا : " وليقل سيدي ومولاي " فإذا كان هذا بالنسبة للعبد مع سيده فكيف لا يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق الله العظيم : " فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور " سورة الحج .

وقد جاء في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يقول للعبد يوم القيامة : " ألم أكرمك وأسودك " أي أجعلك سيدي فهذا الامتتان من الله تعالى بنعمة السيادة يدلنا على أنها شرف للإنسان فكيف لا نشرف بها أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام .

وبذلك يتجلى لنا أن من يقول أن السيادة لا تطلق إلا على الله سبحانه وتعالى فقط فلا يعتد بقوله لأنه مخالف لمنهج القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة .

مقولة " لا تسيدوني في الصلاة "

وكذلك أيضاً ما يظنه بعض الناس حديثاً نبوياً وهو قولهم لا تسيدوني في الصلاة فهو لا يصح نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لأنه لحن فاحش وخطأ لغوي لا تجوز نسبته لأفصح من نطق بالضاد صلوات الله وسلامه عليه ،

لأن الفعل سيد لم يرد في لغة العرب وإنما سود ولذلك أدرك بعض الناس هذا المعنى فقالوا أن الحديث بلفظ لا تسودوني في الصلاة ولكن هذا أيضاً أشد البطلان وكذب وافتراء على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد أورده كثير من المحدثين في الموضوعات التي وضعت كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسئل عنه الإمام جلال الدين السيوطي فأجاب بأنه لم يرد وأنه باطل كما نص على ذلك في الحاوي للسيوطي

وقال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة أنه لا أصل له

وكذلك الإمام جلال الدين المحلي والشمس الرملي وابن حجر الهيتمي وبعض فقهاء الشافعية والمالكية

ونص عليه القاري في موضوعاته على بطلانه

وكذلك قولهم لا تعظموني في المسجد فإنه باطل أيضاً وقد جاء في كتاب كشف الخفا للحافظ العجلوني ما نصه : " قال في المقاصد - أي السخاوي - لا أصل له وقال الياجي في أوائل مولده المسمى بكنز العفاة فكذب مولد مفتري ج 2 ص 494 بل أنه لو فرضنا مجرد احتمال وروده - مع أن هذا بعيد أشد البعد - ومع أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال فإنه يمكن تأويله بما يناسب المقام كما أول العلماء حديث : " السيد الله .. "

لأن التزام الأدب معه صلى الله عليه وسلم مقدم على امتثال الأوامر كما فعل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما جاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله

عنه يؤم الناس فتأخر أبو بكر فأمره أن يثبث مكانه فلم يمتثل ثم سأله بعد الفراغ من الصلاة عن ذلك فأبدى له أنه إنما فعل ذلك تأدباً معه صلى الله عليه وسلم قائلاً : ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك

وكذلك التزام سيدنا علي بن أبي طالب الأدب دون امتثال الأمر حين كتب الكتاب للمصالحة في الحديبية وكان فيه لفظ رسول الله فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أني رسول الله وأن كذبتوني أمحه - أي لفظ رسول الله - فقال سيدنا علي : والله لا أمحوه ومحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ولم ينكر على الإمام علي حسن أدبه

قال العلماء المحققون وهذا من الأدب المستحب فكذلك زيادة لفظ السيد عند ذكر أسمائه صلى الله عليه وسلم من الأدب المستحب.

ومن التزام الأدب أيضاً أن سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه

آخر الطواف لما دخل مكة في قضية صلح الحديبية مع علمه بوجوبه على من دخلها أدباً معه صلى الله عليه وآله وسلم أن يطوف قبله وقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد علمه بذلك .

وبذلك تكون هذه الشبهة واهية لا أساس لها من الصحة وعلى فرض احتمال ورودها فإنه يجب التزام الأدب عند ذكر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء في صحيح البخاري ومسلم قوله صلوات الله وسلامه عليه :

"أنا سيد ولد آدم ولا فخر"

والسيد هو الذي يسود على قومه أي يتقدم عليهم بما فيه من خصال الكمال والشرف التام

وقيل هو الكامل الذي يحتاج إليه غيره

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : السيد الكريم على ربه عز وجل

وقال قتادة : السيد الذي لا يغلبه غضبه

وفي رواية للإمام أحمد وابن ماجة والترمذي قوله عليه الصلاة والسلام :

"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة " .

وفي رواية أخرى " أنا سيد الناس يوم القيامة " للإمام أحمد والبخاري ومسلم ، وذلك شامل لسيدنا آدم عليه السلام لقوله صلى الله عليه وسلم :

"آدم فمن دونه من الأنبياء يوم القيامة تحت لوائي " .

بل أن هناك رواية صريحة في ذلك المعنى وهي قوله صلى الله عليه وسلم :

"أنا سيد العالمين " وفي رواية أبي نعيم في الدلائل قول سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد المؤمنين إذا بعثوا " .

ومما رواه الخطيب قوله صلى الله عليه وسلم : " أنا أمام المسلمين وسيد المتقين " فهذه الأحاديث الصحيحة التي بلغت حد التواتر وأنه صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم وسيد المؤمنين وسيد العالمين تدل دلالة لا لبس فيها على أن لفظ السيادة واجب على كل مسلم محب لرسول الله عليه الصلاة والسلام .

وأن هناك حديث صريحاً في طلب لفظ السيادة من المؤمنين رواه الحاكم في المستدرک بسند صحيح فعن جابر بن عبد الله قال : **صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال من أنا؟ قلنا رسول الله قال : نعم ولكن من أنا ؟ قلنا : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف قال : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر ..**

فهذا الحديث الشريف يوضح لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب من أصحابه أن يجيبوه بلفظ السيادة الذي يبين فضله على سائر العالمين من المرسلين وغيرهم

وكذلك لفظ المولى ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي والنسائي وابن ماجة قال صلى الله عليه وسلم: " **من كنت مولاه فعلي مولاه** " فرسول الله هو سيدنا ومولانا صلى الله عليه وسلم بنص الأحاديث الصحيحة المقطوع بها وكذلك الصحابة الأجلاء وآل بيته الكرام الأطهار هم سادتنا

فقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسيدة فاطمة رضي الله عنها : " يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنات أو سيدة نساء هذه الأمة "

وفي صحيح مسلم : " يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة " .

وفي رواية ابن سعد في الطبقات : " أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين "

فيجب علينا أن نذكر سيدتنا ومولاتنا فاطمة بلفظ السيادة عند ذكرها دائماً وكذلك سيدنا ومولانا الحسن

فقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عندما رأى السيد الحسن : " أن ابني هذا سيد "

وأيضاً سيدنا ومولانا الحسين فقد أخرج الترمذي بسند صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة " .

وكذلك ورد في حق سيدنا ومولانا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسيدنا ومولانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين " .

بل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم أصحابه ذلك المعنى بأجلى وضوح فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

أن أهل قريظة لما نزلوا على حكم سعد بن معاذ أرسل إليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء على حمار فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم " .

فهل بعد هذا البيان النبوي الكريم حجة لمن لا يطلق لفظ السيادة على سيد المرسلين وحبیب رب العالمين ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عن القيام له وكره ذلك ولكنه

أمر بالقيام لسعد رضي الله عنه فيجب أن ندرك ذلك المعنى الذي أراده رسول الله صلى الله عليه ونبيه أصحابه له ووصف به سعد بن معاذ وأن الأدب الإسلامي الكريم يدعو المؤمن للأدب مع والده وأستاذه لا ينادي الابن أباه ومعلمه باسمه فقد ذكر الإمام النووي في كتابه - الأذكار - في باب نهى الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه ، وما رواه ابن السني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً ومعه غلام فقال : يا غلام من هذا ؟ قال : أبي قال : " فلا تمش أمامه ولا تستسبه ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه " .

فإذا كانت هذه أخلاق الإسلام في معاملة أصحاب الفضل والعلم فكيف تكون المعاملة مع أحب الخلق إلى الله تعالى وهو الأب الحقيقي للمؤمنين قال الله تعالى :

" النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم " سورة الأحزاب .

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم "

وبذلك يظهر لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه مجرداً ينافي التعظيم المطلوب لجنابه العالي ومقامه الرفيع

وأما ما يقوله بعض الناس بأنه يرد عن الصحابة ذكر لفظ السيادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ناشئ عن جهل مطبق وقصور محقق وهوى متبع

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن سهل بن حنيف يقول : مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت فخرجت محموراً فسمى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " مروا أبا ثابت فليتعوذ " قلت يا سيدي والرقية الصالحة قال : " لا رقية إلا في نفس أو حمة أو لدغة " .

فهذا الحديث الشريف صريح أشد الصراحة في قول سهل بن حنيف لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم : يا سيدي

وقد رواه النسائي أيضاً بسند قوي وكذلك ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه : " إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين .. " .

وكان الصحابة ينادون بعضهم بعضاً بهذا اللفظ الذي يشعر بالتكريم والإجلال فقد روى الحاكم في المستدرک بسند صحيح أن أبا هريرة رضي الله عنه لما رد السلام على سيدنا ومولانا الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : وعليك السلام يا سيدي ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنه سيد .

وما قاله الفاروق رضي الله عنه : أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا - أي سيدنا ومولانا بلال رضي الله عنه .

وكتب السيرة النبوية مليئة بهذا المعنى فمن أعماه التعصب الممقوت وإتباع الآراء الضالة فلا نلتفت إليه ولا نعيه أي اهتمام لأنه محروم من محبته صلى الله عليه وسلم .

فهذه الدلائل الساطعة والبراهين الدامغة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدع مجالاً للشك في إطلاق السيادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل وللمؤمنين غير الفاسقين فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد وأبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تقولوا للمنافق سيداً فإنه أن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل " وأن النهي عن قوله للمنافق دليل على جوازه للمؤمن.

وأن السيادة تتفاوت مراتبها بحسب تفاضل الأعمال الصالحة والمنزلة عند الله تعالى فقد روى الحاكم بسند صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

"سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله " .

فهذه السيادة لسيدنا حمزة رضي الله عنه بالنسبة للشهداء وهكذا نجد كل سيادة مقيدة بعمل معين أو زمن معين ولكن السيادة الكاملة التامة لا تكون إلا لسيد الخلائق جميعاً ورحمة الكائنات كلها صلوات الله وسلامه عليه .

وقد قال الحافظ العراقي في ألفيته في السيرة النبوية :

ولا ينادي باسمه بل نعته * ولا يحل الرفع فوق صوته

وقال ابن زكري في همزيته :

باسمكم وذم النـداء * لحرمة قدركم حرمت دعوتكم

وقال ابن عطاء الله في كتاب مفتاح الفلاح في كلامه عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : وإياك أن تترك لفظ السيادة ففيها سر يظهر لمن لازم هذه العبادة .

وقال أبو العباس البوني في آداب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومنها إذا أمر في صلاته عليه صلى الله عليه وسلم على اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في بعض الكيفيات مجرداً عن السيادة فليردد لفظ السيادة بلسانه فقط فذلك هو الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وأما الكتابة فأنها تابعة للرواية من غير زيادة ولا نقصان اتفق الصالحون على ذلك في القرن الثالث ووافقهم العلماء المجتهدون وقالوا يختص النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لقوله صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين : " أنا سيد ولد آدم " .

وقال الإمام محمد بن جعفر الكتاني في جواب له في هذه المسألة : إن ذكر الاسم الشريف بالسيادة ونحوها مما يدل على التعظيم والتشريف أمر متفق على طلبه واستحابه في الجملة امتثالاً لقول الله تعالى : " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً " وقوله جل شأنه : " لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه " .

وقد نقل كلام ابن حجر من الدر المنضود ثم قال وفي عمدة المرید للشيخ إبراهيم اللقاني على الجوهره له في التوحيد قال أستاذنا : ولا خلاف في استعمال السيد فيه عليه الصلاة والسلام وإنما الخلاف في استعماله في الصلاة فكرهه قوم وأجازه آخرون .

وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالصيغ الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المحققون يزداد فيها لفظ السيادة فسواء في الصلاة أو خارجها مستدلين بعمل سيدنا أبي بكر الصديق حيث تأخر عن المحراب مع قول النبي صلى الله عليه وسلم له مكانك وامتناع سيدنا علي بن أبي طالب عن محو اسمه من الصحيفة لأن الالتزام الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من امتثال الأمر .

وأجابوا عن الاعتراض القائل بأنه يجب ألا يزداد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يزداد في القرآن الكريم بأنه لا تصح التسوية بين القرآن والحديث في هذا المعنى لأمر منها : أن رواية الحديث تجوز فيها الحكاية بالمعنى للعارف بالألفاظ ومدلولاتها كما هو مذهب جمهور المحدثين ولا يجوز ذلك في القرآن قطعاً .

ومنها أن الرواية يجوز فيها الإدراج بتفسير غريب الحديث كما هو منصوص عليه لغير واحد وفعله ابن شهاب الزهري ولا يجوز في القرآن .

وأما الحديث الشريف : " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** " أي ما ليس من أمره وما لم يسنه ولم يشهد الشرع باعتباره وما ما شهد الشرع باعتباره أصله فهو جائز شرعاً وهو من أمره كالبدع المستحسنة كالا اجتماع على قيام رمضان ، وذكر الصحابة في الخطبة وذلك لأن القرية إذا شهد الشرع باعتبار جنسها فهي مشروعة ، وإن لم يرد لها دليل خاص كما هو مقرر في قواعد الفقه وأصوله ، وذكر السيادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرينة قد شهد الشرع باعتبار جنسها وهو توفير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فضلاً عن النصوص الصريحة التي ذكرت قبل ذلك بل أن ما اختلف في مشروعيته ففعله أولى كما نص عليه الإمام العز بن ابن عبد السلام ورجحه القرافي كما ذكره المواق في كتاب (سنن المهتدين) .

صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

المعلوم أن الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم وردت مروية بصيغ كثيرة مختلفة مأثورة كما نقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم صيغ كثيرة اجتهدوا فيها بمزيد الثناء واستمطار صلاة الله تعالى ورحمته وبركاته على خير خلقه صلى الله عليه وسلم .

مما يدل على جواز تعدد هذه الصيغ وعدم التقيد بالمأثور .

وقد ورد في كتاب (نور الإسلام) للشيخ عبد الكريم المدرس رواية عن سلامة الكندي : كان علي رضي الله تعالى عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات ، اجعل شرائف صلواتك ، ونواحي بركاتك ، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامغ لجيوش الأباطيل كما حمل ، فأضطلع بأمرك لطاعتكم مستوفزاً في مرضاتك واعياً لوحيك حافظاً لعهدك ماضياً على نفاذ أمرك ، حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم ، وابهج موضحات الاعلام ، ونائرات الاحكام ، ومنيرات الاسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعينك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم افسح له في عدتك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنتات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول ، وجزيل عطائك المعلول ، اللهم أعل

على بناء الناس بناءه ، و اكرم مثواه لديك ونزله ، وأتم له نوره وأجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة ، ومرضي المقالة ، ذا منطق عدل ، وخطه فصل وبرهان عظيم) .

وعنه أيضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (أن الله وملائكته يصلون على النبي ، لبيك اللهم وسعديك ، صلوات الله البر الرحيم ، والملائكة المقربين ، والنبیین ، والصدیقین ، والشهداء ، والصالحين ، وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبدالله خاتم النبیین ، وسيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام)

وعن عبد الله بن مسعود (اللهم اجعل صلواتك ، وبركاتك ، ورحمتك على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وخاتم النبیین محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم أنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) .

وكان الحسن البصري يقول من أراد أن يشرب بالكأس الاوفى من حوض المصطفى فليقل : (اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين) .

وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول : (اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى ، ورافع درجته العليا ، واته سؤله في الآخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى) .

وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه: (اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه ، واعط محمدا أفضل ما سألك له احد من خلقك ، واعط محمدا أفضل ما أنت مسئول له إلى يوم القيامة) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول : (اذا صليت على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه) رواه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي

عودة إلى أدلة تسويده صلى الله عليه وسلم

وفي كتاب (المهمات) أن الامام العز بن عبد السلام سئل ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل الافضل ذكر السيادة فأجاب بأن سلوك الادب هو المستحب كما فعل سيدنا ابو بكر عندما كان في المحراب وتأخر اجلالا لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما فعل سيدنا علي عندما امتنع عن محو لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليه وقال: " قولوا اللهم صل على محمد .. " وجب علينا أن نقول اللهم صلي على سيدنا محمد وقد افتى امام الحرمين من فقهاء الشافعية بذكر لفظ السيادة في التشهد في كل صلاة .

وسئل ايضا الامام جلال الدين المحلي عن قوله صلى الله عليه وسلم : " **صلوا كما رأيتموني أصلي** " وكيف يصح أن نخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزيد لفظ السيادة فأجاب بان هناك قاعدتين امتثال الامر والتزام الادب والارجح التزام الادب وبهذا افتى الامام عز الدين بن عبد السلام وجماعة من فقهاء الشافعية وابن عبد السلام من فقهاء المالكية .

وقد نص كثير من الفقهاء بأن من قال باسقاط لفظ السيادة من اسمه الشريف يؤدب الادب الشديد كما ذكره العلمي في نواز له ولذلك افتى الامام ابن عبد السلام في قضية الطالب الذي قال لا يزداد في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ذكر سيدنا بأن يؤدب وامر بسجنه فاخترى حتى شفع فيه فخلى سبيله كما جاء في كتاب اكمال الاكمال أو صاحب المعيار .

وروى عن الامام مالك - كما في كتاب بدائع الفوائد - لما سئل عن السيادة انه قال : كيف وهو صلى الله عليه وسلم قال عن الحسن أن ابني هذا سيد وقال للانصار لما اقبل سعد بن معاذ : قوموا لسيدكم فهو سيد السادة وخير البشر . صلوات الله وسلامه عليه.

وقال الشيخ علي الشبراملسي في حاشيته على شرح الشمس الرملي على المنهاج في فقه الشافعية عند قوله والافضل الاتيان بلفظ السيادة كما قاله ابن ظهيرة والمحلّى ، وهو يقتضي العموم في جميع المواضع التي يذكر فيها اسمه عليه الصلاة والسلام وان الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكره في حياته وبعد مماته

وقد ناظر الامام مالك ابا جعفر المنصور - الخليفة العباسي - وقال له : أن حرمة صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمة حيا .

وذكر التقى السبكي في (كتاب تنزيل السكينة على قنادل المدينة) أن سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يمنع رفع الصوت في المسجد النبوي الشريف ولم يكن يفعل ذلك في المسجد الحرام وما ذاك الا للادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تسمع الوتد يوتد والمسمار يضرب في البيوت القريبة فنقول : لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بل أن الرسول صلى الله عليه وسلم امرنا أن نكرم من تسمى باسمه الشريف فقد روى الحافظ السيوطي في الجامع الصغير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ، واوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها.** "

وكذلك روى الحاكم والبخاري روايات اخرى باسناد قوية .

فاذا كان الامر النبوي الكريم باكرام من تسمى باسمه فما بالك بصاحب اسم ونبي الرحمة وشفيع الخلق وحبیب الخلق صلوات الله وسلامه عليه .

الفصل الخامس

شبهات تتعلق بقدرة الشريف صلى الله عليه وسلم

صلاة الفاتح

قد بنا في مبحث صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قول سيدنا الامام علي بن ابي طالب في الصيغة المأثورة عنه (اجعل شرائف صلواتك ونواحي بركاتك ، ورأفة تحنك على محمد عبد ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق والدافع لجيشات الابطال) .

وفي الصفحة (19) من حوارته تهجم الشيخ ابن منيع على شرح السيد العلوي (لصلاة الفاتح) كما كرر تهجمه عليها في نهاية الصفحة (29) وسماها (صلاة الفاتح المغلق) معتبرا اياها من الشركيات والمكفرات والمنكرات والضلالات التي اقترفها السيد العلوي .

فهل يتجاهل الشيخ ابن منيع أو فلعله يجهل انه صلى الله عليه وآله وسلم اول الانبياء في الخلق في عالم الارواح واخرهم في البعث في عالم الاشباح فهو (الفاتح المغلق) كما يسميه احبابه وجمهور أمته لما جاء في سنن الترمذي وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له (يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ، وفي رواية متى استنبئت ، وفي رواية متى كنت نبيا ، فقال صلى الله عليه وسلم : (كنت نبيا وادم بين الروح والجسد) .

ولعله لم يطلع على نسبتها لسيدنا علي أو لعله من الذين لا يرون الأخذ (بعمل الصحابي) ولا يعتبرونه حجة ..

وعلى كل حال فقد ذكر الشيخ يوسف النبهاني هذه الصيغة في كتابه (افضل الصلوات) ص 137 كاملة كما يلي :

(اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم صلى الله عليه وعلى آله واصحابه حق قدره ومقداره العظيم)

وللسادة التيجانية الصوفية تعلق خاص بهذه الصيغة وهي جزء هام من أورادهم المشهورة ، وقد نسبها الشيخ النبهاني للشيخ محمد شمس الدين البكري الذي يرجع نسبه لجده الخليفة الاول

سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال إنه وجدها في (كتاب مسالك الحنفا في الصلاة على النبي المصطفى) للشهاب القسطلاني ومكتوب قبلها هذه العبارة (هذه انفاص رحمانية وعوارف صمدانية لقطب دائرة الوجود وبدر اساتذة الشهود تاج العارفين سيدنا واستاذنا ومولانا الشيخ محمد بن ابي الحسن البكري روح الله روحهما ونور ضريحهما واعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاتهما في الدنيا والاخرة آمين) ا . هـ ص 141 من (افضل الصلوات) وقد تهجم ابن منيع على الشيخ البكري في صفحة 81 من حواره .

فماذا يقول الشيخ ابن منيع في قول القسطلاني ..

هل تغيير الاسلام ام تغيير القسطلاني ام تغيير (فهم) ابن منيع والرئاسة لمعايير الاسلام والمسلمين ؟ وقديما قيل (من قال هلك الناس فهو اهلكم) .

كل شيء به منوط

جاء في الصلاة المعروفة بالصلاة المشيشية قوله : في حق النبي صلى الله عليه وسلم (ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط)

وقد اشكلت هذه الجملة على بعض الناس كما فعل الشيخ ابن منيع في (حواره - صفحة 17 منه) وفهم منها امورا غير مقصودة ولا مرادة ولا يتصور ابدا أن تقع في ذهن مسلم يؤمن بالله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك جل جلاله وعظم شأنه ولو تدبرت معنى هذه الجملة لسهل عليك الخطب وهان عليك الامر وعلمت أن المسألة لم تخرج عن دائرة التوحيد لأن معناها أن حقائق الاشياء التي لم يتم الوصول إلى الله إلا بها لا تقبل ولا تعتبر إلا إذا جاءت من طريق المشرع وهو النبي صلى الله عليه وسلم

وقد قرر العلماء واتفقوا على أن أي عمل لا يكون مقبولا إلا إذا كان صوابا مع الاخلاص ولا يكون صوابا إلا اذا كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد) . رواه مسلم .

فاذا كانت الاعمال جميعها لا تصح الا اذا جاءت من طريقه ورضي عنها فهل هناك شيء له قيمة أو اعتبار اعلى من هذا ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول " الدنيا ملعونة ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالما ومتعلما " رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي ، وقال الترمذي : حديث حسن .

فذكر الله لا يصح إلا إذا كان عن طريقه فهو منوط به والعلم لا يصح إلا عن طريقه فهو منوط به فصار كل شيء به منوط .

واما قوله : (إذ لولا الوسطة لذهب كما قيل الموسوط) فإن العاقل لو تدبر معناها بامعان لعلم انها تدل على حقيقة من حقائق التوحيد التي لم يختلف فيها احد من المسلمين والتي هي اصل الشريعة التي من اجلها انزلت الكتب وارسلت الرسل.

فالواسطة هم الرسل والموسوط هم الامم ولولاهم لهلكنا وضللنا وسقطنا وهذا معنى قوله (لذهب) أي لتلف وهو معنى قوله تعالى (وكنتم على شفاة حفرة من النار فأنقذكم منها)

وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (أنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تغلبوني تقمون فيها) رواه البخاري.

تتحل به العقد وتتفرج به الكرب

(اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد الذي تتحل به العقد وتتفرج به الكرب وتقضي به الحوائج وتنال به الرغائب وحسن الخواتم ويستسقي الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك) .

هذه الصيغة من الصيغ المشهورة عند الناس قديما وحديثا وهي مجربة لقضاء كثير من المقاصد وتحقيق المطالب ، وقد اشكل على بعضهم وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه تتحل به العقد وتتفرج به الكرب من حيث أن الكرب إنما تتفرج بالله فهو الذي يفرج لهم ويكشف الغم وكذلك قضاء الحوائج ، وقل الناس علما يعرف جواب هذه المشكلة وهو أن قضاء الحوائج وتفريج الكربات إنما هو بالله سبحانه وتعالى فهو الفاعل حقيقة لا يشك في ذلك إلا كافر أو جاهل ، ونسبة هذه الافعال للنبي صلى الله عليه وسلم انما هي نسبة مجازية .

وهذا امر ظاهر لا اشكال فيه جرت عليه عادة عامة الناس بل وجهها لتهم ، مع علمهم بهذه الحقيقة وقرارهم بهذا الواقع مع اليقين الكامل والاعتقاد الجازم فان الواحد منا يقول فلان فرج كربتي ، وفلان أقال عثرتي ، وفلان أزال محنتي وقضى حاجتي ، ولا يخطر في بال اجهل واحد من هؤلاء ، ادنى اعتقاد يفيد استقلال الفاعل بفعل هذه الامور دون الله ، فاذا كنا نجيز امثال هذه التعبيرات والاطلاقات في عامة كلامنا وتعاملنا مع البشر فلو لا يجوز ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأولياء والصالحين ؟

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستعينون به ويستغيثون ويطلبون منه الشفاعة ويشكون حالهم اليه من الفقر والمرض والبلاء والدين والعجز وهؤلاء الصحابة الكرامه يفرعون اليه صلى الله عليه وسلم عند الشدائد ويطلبون منه ويسألونه

فهذا أعمى يطلب رد بصره

وهذا قتادة يطلب رد عينه

وهؤلاء يطلبون الغيث

وهذا حسان بن ثابت يقول له انت يا رسول الله ركن المعتمدين وانت عصمة اللاندين وجار المستجيرين وملاذ القاصدين في قصيدته المشهورة

وملاذ منتجع وجار مجاور يا ركن معتمد وعصمة لائذ

فحباه بالخلق الزكي الطاهر يا من تخيره الاله لحقه

وقد جاء في الاحاديث النبوية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة تفيد أن الله سبحانه وتعالى يدفع العذاب عن اهل الارض بالمستغفرين وعمار المساجد وان الله يرزق بهم اهل الارض وينصرهم ويصرف عنهم البلاء والغرق .

وان من عباد الله من يرزق الله تعالى به الكون ويحفظ به الارض ويمطر به الناس وانهم امان وحصن يفرع الناس اليهم في حوائجهم ويطلبون منهم المعروف والاحسان لأنهم اهل الاحسان ، كل هذا مع العلم الكامل أن الرزق والنصر والمطر والدفع والرفع والضر والنفع بيد الله سبحانه وتعالى .

روى البيهقي في الشعب عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أن الله تعالى يقول : **إني لأهم بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي والمتحابين في والمستغفرين بالاسحار صرفت عذابي عنهم** " .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة ، كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم اهل الارض)** رواه الطبراني وهو حسن . كذا في الجامع .

وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن تخلو الأرض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن ، فيهم تسقون ، وبهم تتصرون ، ما مات منهم احد إلا ابدل الله مكانه اخر) .

(رواه الطبراني في الاوسط واسناده حسن . كذا في مجمع الزوائد ج 10 ص 62) .

فهل جهل ذلك الشيخ ابن منيع ؟

قبل أن يبادر للتكفير والتشريك !

كذلك من المعلوم أن اول الارواح البشرية خلقا هو روح السيد الاعظم صلى الله عليه وسلم كما اخبر عن ذلك بقوله : " كنت اول الناس في الخلق واخرهم في البعث " رواه ابن سعد مرسلا بإسناد صحيح ؛

ورواه ابو نعيم وان ابي حاتم في تفسيره وابن لال والديلمي كلهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ : " كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث " .

وهذه الرواية تفسر رواية ابن سعد وان المراد من الناس الانبياء ، فهو صلى الله عليه وسلم اولهم في عالم الارواح وخاتمهم في عالم الاشباح صلى الله عليه وسلم ، وقد نبأه الله تعالى في عالم الارواح قبل الانبياء كلهم فبه فتحت النبوة في عالم الارواح وبه ختمت في عالم الاشباح صلى الله عليه وسلم ، فهو الفاتح وهو الخاتم .

روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : " قالوا : يا رسول الله ، متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد " وقال الترمذي حيث حسن صحيح غريب ورواه ابو نعيم والبيهقي والحاكم وصححه ، ورواه البزار والطبراني ابو نعيم ايضا من رواية ابن عباس رضي الله عنهما .

وعن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : " كنت نبيا وادم بين الروح والجسد " رواه الإمام احمد والبخاري في التاريخ والطبراني والحاكم وصححه وقال الحافظ الهيثمي في رجال احمد والطبراني : رجالهما رجال الصحيح . ا هـ .

(الوحدة والتوحيد)

مرت بنا أنفاصيغة الصلاة المروية عن سيدنا علي ومن بعده رضي الله تعالى عنه ، اجتهد ولده وحفيده شيخ الاسلام عبد السلام بن بشيش (من البشاشة وهي طلاقة الوجه) ابن منصور بن ابراهيم الحسني ثم الادريسي من ولد سيدنا ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه فنظم صيغة جديدة ضمنها قوله : (اللهم اذف بي على الباطل فأدمغه ، وزج بي في بحار الأحديّة ، وانثلني من أحوال التوحيد)

فتسارع سوء الظن والظن السيء إلى النفوس التي همها الانتقاد لا حسن الاعتقاد ، فلم تتأن في طلب المعنى والتأويل ، بل سارعت ، كشأنها دائما - إلى التبديع والتكفير والتضليل ، وإذا كنا نرجح رأي الامام السيد احمد الرفاعي عندما قال في كتابه الشهير (البرهان المؤيد) معلقا على بعض النصوص التي يلزمها التأويل : (ياكم والقول ببعض هذه الاقاويل ، حسن الظن يلزمنا بسيدنا الشيخ ، ولكن أدبنا مع الدين ألزم) ص 85 .

إلا أننا نذكر - المشايخ والعلماء - بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أن بعض الظن إثم)

وقول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : (التمس لأخيك سبعين عذرا)

فنقول لشرح معنى هذه العبارة التي التبست عليهم (وزج بي في بحار الاحدية ، وانثلني من احوال التوحيد) : إن (التوحيد) لغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد و (التوحيد) شرعا افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفات وافعالا ، و (التوحيد) في اصطلاح اهل الحقيقة من الصوفية : تجريد الذات الالهية عن كل ما يتصور في الافهام ويخيل في الازهان والالوهام وقد هاجم ابن منيع هذه العبارة في صفحة (17) من حواره.

والمعروف أن الله تعالى اوضح لنا في سورة (الاخلاص) انه (أحد) أي لا احد قبله ولا احد معه ولا احد بعده ولا احد مثله (ولم يكن له كفوا احد) .

وصاحب الورد والدعاء يسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقه حقيقة التحقق بمعرفة كمال وجمال وجلال (الاحدية) وهي التوحيد وفي الوقت نفسه يسأله تعالى أن يحفظه ويحميه وينقذه من

مخاطر وشطحات الاغراق والاستغراق والمغالاة في شهود آثار احديه ذاته ووحدانيتها تعالى (كالقول بالوحدة والاتحاد) وغيره مما هلك فيه من هلك أو ضل من ضل وشطح من شطح لذلك قال الامام السيد احمد الرفاعي في كتابه الشهير (البرهان المؤيد) : (التوحيد وجدان تعظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه) .

فصاحب الورد والدعاء ذان يستعيز بالله تعالى من أن يتيه في (احوال) التائبين والشاطحين والمنحرفين في (التوحيد)

اذ كما قال الامام الرفاعي في (البرهان) :

(ما ثم اتصال ولا انفصال ، ولا حلول ولا انتقال ، ولا حركة ولا زوال ، ولا ممارسة ولا مجاورة ، ولا محاذاة ولا مقابلة ، ولا مماثلة ولا مجانسة ولا مشاكلة ، ولا تجسد ولا تصور ولا انفعال ، ولا تكون ولا تغير) وكما ذكر في كتابه المذكور رضي الله عنه انه (سأل رجل الامام مالكا بن انس رضي الله عنه عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وما اراك مبتدعا ، وامر به أن يخرج .

وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن ذلك : آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل ، واتهمت نفسي الادراك ، وامسكت عن الخوض فيه كل الامسك .

وقال الامام ابو حنيفة رضي الله عنه : من قال لا اعرف الله في السماء هو ام في الارض فقد كفر ..

لأن هذا القول يوهم أن للحق تعالى مكانا ، ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه .

وسئل الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه عن الاستواء فقال : استوى كما اخبر ، لا كما يخطر للبشر .

وقال الامام بن الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنهما : من زعم أن الله في شيء ، أو من شيء أو على شيء ، فقد اشرك إذ لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان في شيء لكان محصورا ، ولو كان من شيء لكان محدثا (ا . هـ .

الفصل السادس

التبرك ليس شركاً ولا بدعة

شجرة بيعة الرضوان¹

في الصفحة (33) من حوارہ أخذ الشيخ ابن منيع على الشيخ السيد المالكي (رأيہ في أن شجرة بيعة الرضوان لم يقطعها عمر إلا أن الناس اختلفوا في تعيينها لئلا تنسب لبيعة الرضوان والحال أنها ليست كذلك) .

سبب قطع شجرة البيعة

ولا بد هنا من ملاحظة أن قطع عمر لشجرة البيعة ونحوه : إنما كان لمنع الشرك الذي كان لا يزال متمكناً أو قريباً من النفوس ، ولم يكن أبداً لمنع التبرك وفرق هائل بين الإشراك والتبرك الذي هو من تأكيد الإيمان بالله وقدرته، وهو من أدلة استمرار آثار العمل الصالح ، وهذه الفعلة من عمر كانت مجرد اجتهاد في حكم سد الذريعة ، فليس هو بشريعة نبوية حاسمة ومن العجب أن هؤلاء الذين يستشهدون بفعل عمر هنا ، هم الذين يخالفون فعل عمر بصلاة التراويح عشرين ، ويصلونها ثمانية ، فليس الأمر هنا ديناً وإنما هو شهوة المخالفة .

قصد المعالم المباركة

وقصد الأماكن والمعالم المباركة التي يرجى فيها استجابة الدعاء والتوسل ، كالمساجد ، والأضرحة ، شرع منصوص ، وقد بينت كتب الحديث في أبواب الدعاء أن هناك أمكنة وأزمنة يكون الدعاء فيها أرجى من غيرها ، لقداستها وطهارتها ونزاهتها عن الدنس والخطيئة ، كما حدث في ليلة الإسراء لسيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث - وهو في طريقه إلى المسجد الأقصى - نزل عن براقه ، فصلى في عدة أمكنة معينة ، في كتب الحديث والسيرة ، ومنها : طور سيناء ، ومولد عيسى ، ثم أن مشاهد الحج واختيار أماكن معينة فيه للدعاء والتعبد ونحوه ، أكبر دليل على ذلك ، ويؤيده حديث شد الرحال إلى المساجد الثلاثة ،

فقصد الأماكن والمعالم المباركة للزيارة والدعاء عمل مندوب إليه . وقد صح عن عمر رضي الله عنه قوله : (لو كان مسجد قباء في كذا لذهبنا إليه) .

¹ هذا وقد ثبت كذب هذه الرواية كما حققها الدكتور محمود صبيح في كتابه اخطاء بن تيمية في حق الرسول و آل بيته صلى الله عليه و اله و سلم و بين اقوال العلماء في هذه الشجرة بعد موت سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . بنور

التبرك بآثار الصالحين

والتبرك بآثار الصالحين جائز ، وقد نقل الحافظ العراقي في (فتح المتعال) بسنده أن الإمام أحمد بن حنبل أجاز تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره تبركاً ، قال : وعندما رأى ذلك الشيخ ابن تيمية عجب ، قال : وأي عجب في ذلك ، وقد روينا أن الإمام أحمد تبرك بالشرب من ماء غسل قميص الإمام الشافعي ، بل قد روى ابن تيمية نفسه تبرك أحمد بآثار الشافعي .

وفي (الحكايات المنثورة) للإمام المحدث الضياء المقدسي أن الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي أصيب بدمل أعجزه علاجه ، فمسح به قبر الإمام أحمد بن حنبل تبركاً ، فبرئ .

وفي تاريخ الخطيب : أن الإمام الشافعي كان يتبرك بزيارة قبر الإمام أبي حنيفة مدة إقامته بالعراق ، كما صح عنه أنه كان يتبرك بغسالة قميص الإمام أحمد ، فكان يأخذ منها ما يمسح به وجهه وأعضائه ، كما ذكره أصحاب (الطبقات) وغيرهم .

وفي صحيح السيرة : أنه كان مع خالد بن الوليد شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك بها ، وما شهد بها مشهداً إلا نصره الله كما رواه البيهقي وأبو يعلى وآخرون .

وفي صحيح مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه ، عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسية ، وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى فنستشفى بها .

وفي طبقات ابن سعد عن ابن قسيط والعتبي : (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم) أي (تبركاً وتوسلاً ثم استقبلوا القبلة يدعون) .

وروى ابن سعد كذلك عن عبد الرحمن بن عبد القادر ، أنه رأى ابن عمر رضي الله عنه واضعاً يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ، ثم وضعها على وجهه (أي تبركاً ..) كما روى عنه أنه كان يضع يده على رمانة المنبر مكان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمسح بها وجهه .

كذلك ثبت أن بلالا مرغ خديه على عتبات الحجرة النبوية باكياً بين يدي الصحابة رضي الله عنهم يوم عاد من الشام إلى المدينة ، ثم لم يرد أن أحداً من الصحابة أنكر عليه ، ولا على فاطمة فيما ورد عنها من التبرك بتربة القبر الشريف .

ولعل الأصل : ثبوت تبرك المسلمين بشعر النبي ووضوئه وسوره وملابسه وبردته وإقراره صلى الله عليه وسلم لذلك .

تبرك السلفي الأول الصديق والسلفي الثاني الفاروق به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

ولا شك أن من أبرز الدلائل الدالة على مشروعية وندب واستحباب التبرك به صلى الله عليه وسلم وبآثاره الشريفة بعد وفاته فضلاً عن حياته ما فعله الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه فإنه طلب عند وفاته أن يدفن بجوار النبي صلى الله عليه وسلم - بل عند قدميه الشريفين .

وكذلك طلب وألح الخليفة الثاني عمر الفاروق رضي الله عنه ، فإنه كما ورد في صحيح البخاري استأذن أمنا عائشة رضي الله عنها مرتين بعد أن طعن أن يدفن بجوار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فمرة أرسل ابنه عبد الله قائلاً لها يستأذنك أمير المؤمنين عمر ثم قال له : إذا أنا مت فاذهبوا بجنازتي إلى بيت عائشة وقفوا بي على الباب ثم قولوا : يستأذن عمر فأني عندها لم أعد أمير المؤمنين فإن أذنت وإلا فادفوني في مقابر المسلمين ..

فهل يدلنا المخالفون النافون للتبرك والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته عن سر إصرار هذين الطودين الشامخين من أطواد الإسلام والخليفتين الراشدين اللذين قال عنهما الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم : (**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**) رواه الامام احمد والترمذي وابن ماجة والبخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه عن حذيفة بن اليمان

وحديث العرباض بن سارية : (**فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا علیها بالنواجذ**) رواه الامام احمد واهل السنن وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه ..

فهل يجوز بعد بيان ما سلف أن نتهم بالشرك ونضرب بالعصا وننظر شزرا وحنقا إلى من يريد أن يتبرك بأي اثار من اثار النبي صلى الله عليه وسلم سواء في مسجده الشريف ومنبره

ومحرا به وشباك قبره المنيف ام في خارجه .. (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا
.. (

الفصل السابع

التوسل

هذا وأود أن انقل فيما يلي رأي اهل السنة والجماعة المستند إلى الادلة الشرعية المحكمة في موضوع التوسل فأقول وبالله التوفيق نقلا عن كتاب (قضايا الوسيلة) للشيخ محمد زكي ابراهيم .

أنواع التوسل :

من حيث أن اصل التوسل مشروع لا خلاف عليه ، كان الكلام في فروعه من الخلافات التي لا تتعلق بإيمان ولا كفر ، ولا توحيد ولا شرك وانما محلها الجواز والمنع ، فحكمها الحلال والحرام .

انه لا خلاف بين طوائف المسلمين اجماعا ، على ثلاثة انواع من التوسل :

النوع الاول : التوسل بالحي الصالح إلى الله تعالى ، كما في حديث الضرير مع النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي سوف يأتي بيانه .

النوع الثاني : توسل الحي بالعمل الصالح إلى الله تعالى ، كما في حديث الثلاثة اصحاب الغار والصخرة) الذي اورده الامام البخاري في صحيحه .

النوع الثالث : التوسل إلى الله بذاته تعالى ، وبأسمائه وصفاته ونحوها وبما أن هذه الانواع متفق على مشروعيتها ، فلا داعي لسرد الادلة عليها .

وانما الخلاف هو على التوسل بالميت الصالح .. وقد اجازه جمهور المسلمين من اهل السنة والجماعة ، ولديهم عليه الادلة النقلية المتعاضدة نكتفي هنا منها (بحديث الاعمى) من حيث أنه المحور الاكبر في هذا الباب وعليه بدور النقاش.

حديث الاعمى في التوسل وقضاء الحاجة :

روى الترمذي بسنده عن عثمان بن حنيف أن رجلا اعمى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اني اصبت في بصري ، فادع الله لي ،

قال : اذهب فتوضأ ، وصل ركعتين ثم قل : اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبي محمد ، نبي الرحمة ، يا محمد اني استشفع بك على ربي ، في رد بصري ، وفي رواية (في حاجتي لتقضي لي ، اللهم شفعة في) (ثم قال صلى الله عليه وسلم) : وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك . (وفي بعض روايات الحديث خلاف يسير في الالفاظ ليس بذى بال) .

من هذا الحديث اخذ الفقهاء مندوبيه صلاة الحاجة ، فمن كانت له إلى الله تعالى حاجة ، صلى هذه الصلاة ، وتوجه إلى الله بهذا الدعاء ، مع ما يناسبه من الدعاء المأثور وغير المأثور ، مما تمس اليه الحاجة وما يشعر به صاحبها.

ومنطوق الحديث حجة في صحة التوسل بالحي ، ومفهومه حجة على صحة التوسل بالميت ، من أن التوسل بالحي أو الميت ليس توسلا بالجسم ولا بالحياة ولا بالموت ، ولكن بالمعنى الطيب الملازم للانسان في الموت والحياة ، وما الجسم الا حقيبة لصيانة هذا المعنى ، فاستوجب بهذا تكريمه حيا كان أو ميتا ، على أن قوله (يا محمد) نداء للغائب الذي يستوي فيه الحي والميت ، فهو موجه إلى المعنى الكريم على الله ، والملازم للروح ، والذي هو موضع التوسل بالحي أو الميت على حد سواء .

حديث الاعمى والتوسل بالموتى :

ومع هذا فقد أخرج الطبراني في معجمه الصغير ، عن ابي امامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف : أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له ، فكان عثمان لا يتلفت اليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف فشكا اليه ذلك (أي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد خلافة ابي بكر وعمر) .

فقال له عثمان بن حنيف (وهو الصحابي المحدث العالم بدين الله) . ايت الميضأة ، فتوضأ ، ثم ايت المسجد ، فصل فيه ركعتين ، ثم قل : " اللهم اني اسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة ، يا محمد: اني اتوجه بك إلى ربي، فيقضي حاجتي قال : وتذكر حاجتك ، ورح حتى أروح معك) .

فانطلق الرجل يصنع ما قال له ، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجاء البواب حتى أخذ بيده ، فأدخله علي عثمان بن عفان ، فأجلسه معه على الطنفسة (الوسادة) فقال : ما حاجتك؟! فذكر حاجته وقضاها له ، ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة!! وقال : ما كانت لك من حاجة فاذكرها!!

ثم أن الرجل خرج من عنده ، فلقى عثمان بن حنيف . فقال له : جزاك الله خيرا ، ما كان ينظر في حاجتي ، ولا يلتفت إلي حتى كلمته (يريد أن ابن حنيف كلمه ، أي توسط له عند عثمان بن عفان) .

فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ، ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير . فشكا اليه ذهاب بصره ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أو تصبر !؟ فقال : يا رسول الله ، انه ليس قائد ، وقد شق علي :

فقال صلى الله عليه وسلم : أيت الميضاة فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات .

قال ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا ، وطال بنا الحديث ، حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط .

وهذا نص صحابي قطعي صريح في صحة التوسل بالموتى ، وقد صحح هذه القصة (البيهقي ، والمنذري ، والهيثمي) كما سيأتي .

تحقيق صحة حديث الضرير :

قال الطبراني : أنه حديث صحيح ، وذكر أن عثمان بن عمر تفرد به عن شعبة .

قال الشيخ ابن تيمية (تأمل) : أن الطبراني ذكر تفرد به بمبلغ علمه ، ولم يبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة ، وذلك إسناد صحيح يبين أنه لم ينفرد به عثمان بن عمر (أ هـ) .

نقول : ولو سلمنا بانفراده به عن شعبة ، وانفراد أبي جعفر عن عمارة ، فهما ثقتان بإجماع علماء الحديث ، وبهذا ينتفي تغريب الحديث عند الترمذي ، وكم من حديث صحيح . ولكنه غريب ، كحديث (إنما الأعمال بالنيات) مثلاً .

قلنا : وبهذا يتحقق علمياً أن الحديث صحيح على شرط الشيخين (البخاري ومسلم) ومع هذا ، فبعض من في صدورهم غرض معين ، يضعف حديث الأعمى هذا من رواية الترمذي ، بحجة أن في سنده رجلاً غير معروف ، والقاعدة عند علماء الحديث أن المجهول عند واحد ، إذا

كان معلوماً عند غيره ، فالحجة للعالم به ، والمثبت مقدم على النافي عند جميع أهل العلم ، خصوصاً أهل الحديث .

وقد قال الترمذي عنه (حديث حسن صحيح غريب ، لا يعرف إلا من هذا الوجه . من حديث أبي جعفر ، قال : وهو غير الخطمي (بفتح الخاء) ومعنى هذا : أن رواية هذا الحديث مع مجهولية أبي جعفر عند الترمذي : مقبولون بدرجة الحسن والصحة على الوجهين .

وعلماء الحديث الذين سبقوا الترمذي حققوا أن أبا جعفر (هذا المجهول عند الترمذي) هو الخطمي بعينه ، قال ابن أبي خيثمة : أبو جعفر هذا ، الذي حدث عنه حماد بن سلمة : اسمه عمير بن يزيد ، وهو أبو جعفر الذي يروي عنه شعبة ، ثم روى الحديث من طريق عثمان ، عن شعبة ، عن أبي جعفر .

قال ابن تيمية : - بعد أن روى حديث الترمذي : " وسائر العلماء قالوا هو أبو جعفر الخطمي ، وهو الصواب " فتأمل .

قلنا : وفي (تعريف التهذيب) للحافظ ابن حجر : أنه الخطمي ، وأنه صدوق (من السادسة) وفي (الاستيعاب) لابن عبد البر : أنه الخطمي كذلك ، ثم أن الحديث كذلك رواه البيهقي من طريق الحاكم وأقر تصحيحه ، وقد رواه الحاكم بسند علي شرط الشيخين ، وأقره الحافظ الذهبي ، واستشهد به الشوكاني . وهما !! من هما !!

ومعنى هذا : أن جميع رجال السند معروفون لكبار أئمة الحديث كالذهبي (وهو من هو تشدداً) وابن حجر (وهو من هو ضبطاً ، وحفظاً ، وتحققاً) والحاكم ، والبيهقي ، والطبراني . وابن عبد البر ، الشوكاني ، وحتى ابن تيمية ... إلخ .

ثم أن هذا الحديث أخرجه البخاري في (التاريخ الكبير) وابن ماجة في (السنن) ونص على صحته ، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) وأبو نعيم في (معرفة الصحابة) والبيهقي في (دلائل النبوة) والمنذري في (الترغيب) والهيثمي في (المجمع) والطبراني في (الكبير) وابن خزيمة في صححه ، وآخرون .

وقد نص على صحته نحو خمسة عشر حافظاً ، وهكذا جاء الحديث كما قدمنا على شرط الصحيحين : البخاري ومسلم ، فلم يبق بعد هذا مطعن لطاعن ، أو مغمز لمغتمز في صحة الحديث .

وبالتالي في جواز التوسل بالحي والميت جميعاً من طريق : العقل ،

والعلم ، والعاطفة . وفي الأمر سعة ، من شاء توسل . ومن شاء ترك بلا فتنة ولا تأثيم بعد كل هذا التحقيق الدقيق .

موضوع توسل الصحابة بالعباس :

ثم أن توسل الصحابة بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفي أبداً صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في قبره ، إذ لا تتنافى بين الأمرين ، بدليل أنه : بينما كانت طائفة تتوسل بالعباس لقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم (ومعنى هذا أنهم يتوسلون بالنبي نفسه) كان بعضهم يتوسل إلى الله مستسقياً بالرسول في قبره فقد أخرج ابن أبي شيبة عن (مالك الدار) بسند صحيح (كما في فتح الباري) وأخرجه البخاري في (التاريخ) وابن أبي خيثمة ، والبيهقي في (الدلائل) : أن بلال بن الحارث المزني الصحابي ، أتى إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الرمادة (القحط) في عهد عمر ، وقال : (يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا) ... إلخ .

وهو نص من فعل الصحابة في صحة التوسل بالميت . وبما أنه لم ينكره عليه أحد ، فقد أخذ بالتنتالي قوة الإجماع .

وقد روى ابن عبد البر في (الاستيعاب) سبب توسل الصحابة بالعباس وهو لا يتنافى مع التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في قبره ، بل هو هو . قلنا : لأن علة توسلهم به رضي الله عنه هي قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم فكأنهم توسلوا بالرسول وبعمه في وقت واحد ، وإلا فلماذا اختاروا العباس بالذات مع وجود غيره ؟

وكلام الحافظ في (الفتح) يؤيد هذا الجانب ، شأن جمهور علماء المسلمين وهو معتضد بخبر فتح الكوي في سقف الحجرة المشرفة ، بإذن عائشة توسلاً إلى الله في اللطف بالعباد ، كما روى عن أبي الجوزاء ، وأخرجه الدارمي في (سننه) وعلق عليه (القاري) في شرح (المشكاة) تأكيداً . فالتوسل بالعباس بعد كل هذا فرع لا يتنافى مع الأصل - وهو التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم - لا عقلاً ولا نقلاً .

علماء الأصول والتوسل بالموتى :

وعلماء (أصول الدين) هم أهل الاختصاص في هذا المجال وليس لمنكر من بعد مقالهم مقال . فقد أجازوا التوسل بصالحي الموتى ، وفي مقدمتهم : علامة الدنيا الإمام فخر الدين الرازي في (المطالب العالية) وإمام البيان العلامة سعد الدين التفتازاني في (شرح المقاصد) وإمام الإعجاز العلامة الشريف الجرجاني في حاشية (المطالع) ولهم في ذلك توجيهات وتفصيل ، ونقول : وفلسفات تؤكد ما يكون بين الزائر والمزور من المدد والإفاضة . والصلة الروحانية ، على نسبة منزلة كل منهما في الحياتين .

وفي (مناسك) الإمام أحمد ، رواية أبي بكر المروزي ، في التوسل إلى الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم في قبره ، وهناك صيغة طويلة للتوسل به صلى الله عليه وسلم عند الحنابلة ذكرها أبو الوفاء بن عقيل في (التذكرة) فلا خلاف عند كبار الحنابلة على ذلك .

وتوسل الإمام الشافعي بالإمام أبي حنيفة (وهو ميت) مذكور في أوائل (تاريخ الخطيب) بسند صحيح . أ . هـ (1)

(فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) !؟

التوسل واستمداد المغفرة من الله تعالى بجاهه صلى الله عليه وسلم:

سخر الشيخ ابن منيع من قول السيد المالكي : (فكم للصلاة عليه من فوائد نبوية ، وإمدادات محمدية) وتساءل متهكماً : (وأما الإمدادات المحمدية فلا ندري ما هو مقصود المالكي بها ؟) كذلك هاجم ما أورده السيد المالكي في (الذخائر) من صيغة السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : " وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك يا رسول الله إلى ربي عز وجل) . راجع صفحة (75) من حوار ه .

ونحن نورد له فيما يلي قصة الأعرابي الذي وجد نفسه مذنباً فذهب يستمد مغفرة الله تعالى وعفوه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم

بعد انتقاله للرفيق الأعلى وذلك فيما أخرجه ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في مثير الغرام وابن النجار بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال أتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته فجلست بحدائه فجاء أعرابي وذكر نحو ما سيأتي ، بل روى أبو سعيد السمعاني عن علي رضي الله عنه قال قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى نفسه على قبره وحثى من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا

قولك ووعيت عن الله سبحانه وتعالى ووعينا عنك وكان فيما أنزل عليك (**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك**) الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر أنه قد غفر لك (انتهى .. (**فبأي حديث بعده يؤمنون**) ؟ !

عقيدتنا في التوسل :

نحن نعتقد أن جميع الأنبياء والأولياء لا فعل لهم ولا قدرة لهم ولا تصرف ، لا الآن ولا حين كانوا أحياء في دار الدنيا فإن صفتهم الفناء والاستهلاك ليس إلا ، ولو كان هذا التوسل شركاً وتوجهاً إلى غير الله كما يزعمه المنكر ، فينبغي أن يمنع التوسل وطلب الدعاء من الصالحين من عباد الله وأوليائه في حال الحياة أيضاً ، وليس ذلك مما يمنع ، فإنه مستحب ومستحسن شائع في الدين ، ولو زعم أنهم عزلوا وأخرجوا من الحالة والكرامة التي كانت لهم في الحياة الدنيا ، فما الدليل عليه ، ومن اشتغل من الموتى عن ذلك بما عرض له من الآفات فليس ذلك كلياً ، ولا دليل على دوامه واستمراره إلى يوم القيامة ، غايته أنه لم تكن هذه المسألة كلية.

نعم إن كأن الزائر يعتقد أن أهل القبور متصرفون ومستبدون وقادرون من غير توجه إلى حضرة الحق والالتجاء إليه كما يعتقد العوام الغافلون الجاهلون ، وكما يفعلون أولئك من تقبيل القبر والسجود والصلاة إليه مما وقع عنه النهي والتحذير ، فذلك مما يمنع ويحذر منه ، وفعل العوام لا يعتبر قط ، وهو خارج عن البحث وحاشا من العالم بالشرعية والعارف بأحكام الدين أن يعتقد ذلك ويفعل هذا .

وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس ، وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين ، وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الإمام مالكا وهو بالمسجد النبوي وقال له :- يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعو ، أم استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

فقال مالك :- ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى ، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك ، قال تعالى : (**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**) النساء - وقد ذكره القاضي عياض في (الشفاء) وساقه بإسناد صحيح وذكره السبكي في (شفاء السقام) والسمهودي في (خلاصة الوفاء) والعلامة القسطلاني في (المواهب اللدنية) والعلامة ابن حجر في (تحفة

الزوار والجوهر المنظم) وذكره كثير من أصحاب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم (راجع كتاب - كي السجل - للسيد محمد مهدي الرواس الرفاعي) .

فهل الشيخ ابن منيع والمشايخ في الرئاسة لا يزالون مصرين على ما ورد في الحوار بصفحة (16) من (أن الاستشفاع والاستجارة به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من أنواع الشرك الأكبر) .

نسأل الله السداد في القول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين ، كما دلت الأحاديث السابقة ، لأننا لا نعتقد تأثيراً ، ولا خلفاً ، ولا إيجادا ، ولا اعداما ، ولا نفعا ، ولا ضرا ، إلا الله وحده لا شريك له ، فلا نعتقد تأثيراً ولا نفعا ولا ضرا للنبي صلى الله عليه وسلم ، باعتبار الخلق والإيجاد والتأثير ، ولا لغيره من الأحياء والأموات ، فلا فرق في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وأجمعين ، وكذا بالأولياء والصالحين ، لا فرق بين كونهم أحياء أو أمواتا ، لأنهم لا يخلقون شيئا ، وليس لهم تأثير في شيء ، وإنما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى ، والخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له (ولأنه تسري بركة المكان على الداعي) كما ذكر الإمام الشوكاني في كتابه (تحفة الذاكرين) بعدة الحصن الحصين .

وأما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات حيث جوزا بعض التوسلات بالأحياء لا للأموات ، فهم القريبون من الزلل ، لأنهم اعتبروا أن الأحياء لهم التأثير دون الأموات ، مع أنه لا تأثير إيجابياً لغير الله سبحانه وتعالى على الإطلاق .

وأما الإفادة وفيض البركات والاستفادة من أرواحهم استفادة اعتيادية ، وتوجه أرواحهم إلى الله سبحانه وتعالى طالبين فيض الرحمة على ذلك المتوسل ، فهو شيء جائز وواقع وخال عن كل خلل ، بدون الفرق بين الأحياء والأموات .

فشبهة المانعين إن كانت من جهة أن الأموات أجساد هامة جامدة ، ولا روح ولا إدراك ولا مجال للخطاب معهم ، فتلك ساقطة من الاعتبار ، بأن أجساد الأنبياء والرسل لا تبلى ، وأن الله حرم على الأرض أن تأكل لحومهم ، وأن أرواحهم باقية ثابتة ، ولها إدراك بإذن الله تعالى ، وهو تعالى يعلمها بصلوات المسلمين وبتوسلات المتوسلين، وحسبك في الموضوع خطاب

النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة عند التشهد بقولك : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ا . هـ من (نور الإسلام) .

هذا وقد أجاد سماحة الشيخ عبد الكريم المدرس رئيس جمعية علماء بغداد نفع الله تعالى بحياته عندما ذكر في كتابه القيم (نور الإسلام) السالف:-

(أنه هناك أمور ينبغي التعرض لها لزيادة بصيرة المسلمين : الأول - أنه هل للأموات إدراك وإطلاع على الزائر وشخصيته وفهم لأحواله ؟

الثاني - هل هناك فائدة تعود على الميت أولاً ؟ وعلى الزائر ثانياً ؟

والثالث - أنه هل يجوز للزائر التوسل بهم إلى الله سبحانه لحصول خير أو دفع شر ؟

فنقول أما الأول - فإن كان الميت نبيا من الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) فلهم إدراك ، فقد ثبت أن الأنبياء أحياء في قبورهم ، وأن الأرض لا تأكل أجسادهم لما روي النسائي عن أوس بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " (1) عليهم الصلاة والسلام ، وأخرجه ابن ماجة في سننه أيضا .

وروى البيهقي في كتاب الأنبياء وصححه من حديث أنسى رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال " **الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون** " ، وكذلك رواه أبو يعلى والبخاري وابن عدي

وأخرج مسلم في باب فضائل موسى عليه السلام من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره** " (راجع فتح الباري 260/2 لمزيد البحث والبيهقي في حياة الأنبياء) .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " **حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم** " وذلك العرض كل يوم ، وقد عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب مما يدل مجموعها دلالة لا مريية فيها على حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام رواه الحافظ الهيثمي عن عبد الله بن مسعود وقال رواه البخاري ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد 23/9) .

وكذلك الشهداء فقد ثبت أيضاً أنهم أحياء في قبورهم وإن كانت حياتهم دون حياة الأنبياء قال تعالى " **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**) سورة البقرة - آية 154 .

والصحيح الذي عليه أكثر الأئمة أن الثواب والعذاب على مجموع الروح والجسد ، لكن الجسد البرزخي ، لا هذا الجسد المادي المرئي المشهود ، لأنه ربما يحرق الإنسان فيصير بدنه هباءً منبثاً ، أو يتفتت في القبر ، ومعنى الجسد البرزخي أنه يخلق الله تعالى لروح المتنعم أو المعذب جسداً لطيفاً كجسد الملائكة التي لا فرق فيه بين المحل الكبير والصغير ، ولا يمنعه مانع ، من قبوله التعم والتعذب ، وتصور ذلك سهل لمن له إمام بالوحي والرسالة . ومن تأمل عجائب الملك والملكوت ، وغرائب صنعه تعالى ، لم يستكف عن قبول أمثال هذه الأشياء ، فإن للنفس نشآت ، وهي في كل نشأة منها تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة ، فكما أنا نشاهد

في المنام صوراً لا نشاهدها في اليقظة ، كذلك نشاهد في حال انخلاعنا عن البدن أموراً لم نكن نشاهدها في الحياة . وإلى ذلك يشير قول من قال : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .

فانا نصدق بأن القبر يوسع على الميت من أهل السعادة بمقدار ما يعلمه الله تعالى ، وأنه يبقى في النعيم إلى ما شاء الله وكذلك نصدق بأن الحية مثلاً موجودة تلدغ الميت ، ولكننا لا نشاهد ذلك فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة تلك الأمور الملكوئية ، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت .

وقال في موضع آخر من الكتاب :-

هذا ولا ينافي ذلك قوله تعالى : (**إنك لا تسمع الموتى**) لقوله تعالى : (**إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور**) فإنه لولا خلق الله للإسماع لم يكن إسماع لأي شخص من أي شخص حتى في الدنيا وفي حال اليقظة ، ولكن الله يسمعهم ، وإلا فكيف كان يتكلم صلى الله عليه وسلم مع قتلى بدر الواقعين في القلب ، وكيف يقول صلى الله عليه وسلم أن الموتى يسمعون قرع نعال المشيعين لهم ، وكيف كان مجال لتلقي الموتى بعد الدفن ؟

وإن كانت شبهتهم من جهة أنه تأثير لما سوى الله تعالى ، فهي مدفوعة بأن المتوسلين لا يريدون منهم التأثير والإيجاد ، معاذ الله أن يتصور المسلم صحة شيء مخالف لقواعد الإيمان والإسلام والتوحيد ، وإن كانت الشبهة وقوع بعض ألفاظ غير سليمة من الخلل ، فهي مدفوعة

بتداركها بأدنى عناية حول تربية المسلمين لترك الألفاظ غير السليمة ، واستعمال ما يناسب مقام العبودية .

وأما منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة ، ومع صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها ، وجعل التوسل شركا وكفرا معارضة صريحة لقواعد الإسلام ، فإن من قواعده عدم تكفير أي مسلم إلا بعد ثبوت مكفر منه لا يقبل التأويل ، واضلال للأمة المعصومة من الخطأ فضلا عن الكفر بقوله صلى الله عليه وسلم " لا تجتمع أمتي على ضلالة " ، الحديث المعروف المشهور الجلي الذي ادعى بعض المحدثين انه متواتر ، ومخاصمة مع قوله تعالى (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) اذ كيف تجتمع كلها أو اكثرها على ضلالة ؟ وهي خير أمة أخرجت للناس .

فاذا وقفنا وتوجهنا إلى الضريح الانور وخاطبناه صلى الله عليه وسلم ، فخطابنا معه له اصل في الدين ، وهو الخطاب معه في تشهدنا لكل صلاة ، ومعنى ذلك انه صلى الله عليه وسلم له روح عالية الدرجات موهوبة منه سبحانه بفضائل لا يعلمها إلا هو ، وانه تعالى يخبره ويعلمه بصلاة المصلين وخطاب الحاضرين والغائبين.

وإذا توسلنا به صلى الله عليه وسلم على معنى طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم ، فطلب الدعاء مشروع ، ورحانيته المنورة لا فرق بين عالم علاقتها المادية الدنيوية وعلاقتها البرزخية ، بل والارواح في البرزخ اصفى منها في عالم الدنيا .

وإذا توسلنا بذاته الشريفة ، أو بجاهه العظيم ، أو بحقه الجسيم ، أي حق رعايته للعبودية الخالصة عند الله تعالى بمحض احسانه ولطفه أو فضل طاعته واعماله وجهاده في تبليغ الدين المبين ، فكل ذلك واقع في الروايات الصحيحة كما سمعت منا في اوجه التوسل به صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان القصد الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم ، فلا شك انه الشفيع الاكرم المشفع ، وشفاعته ثابتة لا شك فيها ، وقبول شفاعته ثابت بفضل الله وهو من خالص كرمه ورحمته تعالى ، لا حق لأحد في منعه وحجره أو انكاره .

وما توهم الناس به من انه اشراك ، فهو توهم من تعامي عن حقيقة معنى الاشراك ، فانه عبارة عن أن يجعل العبد احد سوى الله تعالى شريكا له في الالهوية والربوبية والخلق ، أي انه ذلك الشريف له نصيب من الصفات المذكورة ، واين ذلك من التوسل بالرسول صلى الله

عليه وسلم ، بصفة انه عبد الله ونبيه ورسوله اكرمه بفضله وجعل له الشفاعة والوسيلة والمقام المحمود ؛

وقياس المسلمين المتوسلين على عباد الاصنام في ما حكاه الله تعالى عنهم من قولهم (ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى) ونحوه ناشئ عن اغماض عن الحق وانحراف عن الواقع ، وتسوية بين الامة الوثنية الجاهلة الضالة العمياء وبين الامة المسلمة المؤمنة بالله وحده لا شريك له ، الناشئة على الملة الاسلامية الحنيفة المهتدية البيضاء ، التي تمرنت على الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى رب العالمين وخالق كل شيء ومعبود المكلفين .

وكيف يتصور بمن اسلم وقرأ القرآن وفهم تعاليمه أن يظن تلك الظنون الفاسدة التي ظنها عباد الاصنام الجاهليون؟

وكيف يتصور ذلك من العلماء الاعلام الدارسين لمعنى قوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما إلهكم آله واحد)

ولأنذارات الرسول الكريم لعشيرته بعد نزله قوله تعالى (وانذر عشيرتک الاقربین) ؟ ا.هـ.

هذا وقد يكن من المفيد كثيرا ذكر اقوال هؤلاء الاعلام :

1. قال الامام ابن الحاج المكي في (المدخل) والامام القسطلاني في المواهب قد قال علماءنا رحمهم الله تعالى : (لا فرق بين موته وحياته صلى الله عليه وسلم في مشاهدته لأتمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك جلي عنده لاختفاء به) ا.هـ .
2. وقال القاضي ثم القاري ثم المناوي في التيسير شرح الجامع الصغير للامام السيوطي رحمهم الله تعالى : (النفوس القدسية اذا تجردت عن العلائق البدنية اتصلت بالملأ الاعلى ولم يبق لها حجاب فترى وتسمع الكل كالمشاهد) ا.هـ .
3. وفي " المنفذ من الضلال " للامام الغزالي رحمه الله : (أن ارباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد) ا.هـ .
4. وقد قال تلميذه الامام القاضي ابو بكر بن العربي المالكي : (ورؤية الانبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة) (اهل الحق - للمحدث محمد حافظ التيجاني) .

5. وقد قرر الامام الشيخ ابن القيم في كتابه (الروح) : (أن للأرواح قوة وطاقة لا يتصورها البشر ، حتى أن روحا واحدة عظيمة تؤثر في جيش كامل) .

الروح بعد مفارقتها للجسد :

والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت ، وتبقى هي مدركة تسمع من يزورها ، وتعرفه ، وترد عليه السلام ، وتحس لذة النعيم ، وآلم الجحيم .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

"وقد استفاضت الاخبار بمعرفة الميت بحال اهله واصحابه في الدنيا ، وان ذلك يعرض عليه ، وانه يرى ويدري ما يفعل عنده ، ويسر بما كان حسنا ، ويتألم بما كان قبيحا " ؟

وروى أن عائشة رضي الله عنها : بعد أن دفن عمر رضي الله عنه ، كانت تستتر وتقول : " كان ابي وزوجي ، فأما عمر فأجنبي " .. تعني انه يراها .

"وروى أن الموتى يسألون الميت عن حال اهليهم ، فيعرفهم احوالهم وانه ولد لفلان وتزوجت فلانه " اهـ . العقائد الاسلامية لسيد سابق صفحة 230 .

السؤال في القبر :

اتفق اهل السنة والجماعة على أن كل انسان يسأل بعد موته قبر ام لم يقبر ، فلو اكلته السباع أو احرق حتى صار رمادا ، ونسف في الهواء أو غرق في البحر لسئل عن اعماله ، وجوزي بالخير خيرا ، وبالشر شرا ، وان النعيم أو العذاب على النفس والبدن معا ، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

(مذهب سلف الامة وائمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وان ذلك يحصل لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وانها تتصل بالبدن احيانا ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى اعيدت الارواح إلى الاجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى) اهـ . (المصدر السابق صفحة 231) .

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وصحيح أبي حاتم : أن النبي صلى الله عليه وسلم : قال :-

"إن الميت إذا وضع في قبره يسمع خفق نعالهم ، حين يولون عنه ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجله ، فيؤتي من قبل رأسه فنقول الصلاة : ما قبلي

مدخل ، ثم يؤتي من يمينه ، فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ثم يؤتي عن يساره ، فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتي من قبل رجله ، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان : ما قبلي مدخل ، فيقال له : أجلس ، فيجلس ، قد مثلت له الشمس ، وقد أخذت للغروب. فيقال له : هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني أصلي ، فيقولان : إنك ستصلي ، أخبرنا عما نسألك عنه ؟ رأيته هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه : ؟ وما تشهد عليه ؟ فيقول : محمد - صلى الله عليه وسلم - أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله ، فيقال له : على ذلك حبيبت ، وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب إلى الجنة ، فيقال له هذا مقعدك . وما أعد الله لك فيها ، فيزداد غبطة وسروراً ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً . وينور له فيه . ويعاد الجسد لما بدء منه ، وتجعل نسمته في النسم الطيب ، وهي طير معلق في شجر الجنة ، قال :
فذلك قول الله تعالى :

"يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدي المسلمين بنور العلم السليم إلى الصراط المستقيم بمنه وفضنه إنه أرحم الراحمين .

وقلوبنا مملوءة بأمل أن ينتبه المسلم الزكي الذكي المنصف لملاحظة الحقائق ، وتوير الأمة على ضوئها ، وإرشاد العامة وتأييد الخواص ، فالدين نصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وليس من النصيحة إثارة الشكوك والأوهام وتضليل المسلمين من لدن القرون الأولى إلى يومنا .

فإنه قد مضت قرون والمسلمون والرشد في قرن كما أنه لا ينبغي ولا يجوز بل يحرم الاقتداء بالحرورية المكفرين

فإن رأينا نحن المسلمين أن لا نكفر أحدا من أهل القبلة ، إلا بحجة قاطعة على كفره ، كما يجب الاجتناب كل الاجتناب عن الانحراف ، ويجب علينا الاعتدال والوقوف في وسط الطريق بلا إفراط وتفريط ، وإيتاء كل ذي حق حقه ، وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من الرسول وصحابته وأتباعه وأتباع التابعين صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وعنا ببركاتهم أجمعين .

اللهم ارزقنا التصديق والتسليم ولا تجعلنا اللهم من الذين ذممتهم فقلت فيهم (قد يؤسوا من الآخرة كما يؤس الكفار من أصحاب القبور) الممتحنة 13 -

الفصل الثامن

شبهات صغيرة والرد عليها

سعادة من رآه صلى الله عليه وسلم

كان الشيخ ابن منيع في رده المتهافت على الشيخ السيد محمد علوي المالكي يخطب خبط عشواء ، فبالإضافة إلى تسرعه في السباب والشتم وتوزيع صفات البدعة والكفر والشرك على خصمته ، غالى في إنكار وجود جميع ما كتبه السيد وذكره حتى ما كان منه مؤيداً بأحاديث شريفة صحيحة فنراه يهاجم ما نقله السيد المالكي في صفحة (54) من الهمزية من قول المحب البوصيري رحمه الله :

ليته خصني برؤية وجهه زال عن كل من رآه العناء

قائلاً (في صفحة 16 من حوارته) :

" وهذا كذب وباطل وقد رآه في حياته على الصلاة والسلام أقوام كثيرون فما زال عنهم عناؤهم ولا كفرهم (ا . هـ .

والمتتبع لردود الشيخ ابن منيع ومن ساعده من المشايخ في الرئاسة العامة ممن شكرهم في خاتمة كتابة وأثنى عليهم ودعا الله تعالى لهم بالأجر في سبيل الدفاع عن العقيدة في صفحة 199 - أنهم ليسوا من ذوي الإطلاع الحسن على السنة وكتب الحديث النبوي الشريف التي هي المصدر الثاني بعد كتاب الله تعالى ، وإلا فكيف نفسر هذا الحكم القاطع من الشيخ ابن منيع وإقرار زملائه له فيه مع أن هناك حديثاً صحيحاً رواه الترمذي في سننه عن سيدنا جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :- (لا تمس النار مسلماً رأيي أو رأي من رأيي) الحديث رقم 3957 من سنن الترمذي (طبعة القاهرة) .

ولقد التبس على بعضهم كما التبس على الشيخ ابن منيع كيف يكون ذلك صحيحاً مع أن هناك (أقوام كثيرون رأوه صلى الله عليه وسلم فما زال عناؤهم وكفرهم) كأبي لهب وأبي جهل والوليد وأبي ابن خلف وغيرهم ..

فكان رفع الالتباس عن غشاوة أذهانهم في حقيقة (أن أولئك إنما نظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة (يتيم أبي طالب) لا بصورة نبي الله ورسوله وحببيه ورحمته للعالمين) وصدق الله العظيم وكفى بقوله تعالى قولاً إذ يقول :- (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) الأعراف - آية 197 .

فمن المطالب الآن بالتوبة عن رأيه والاستغفار السيد المالكي أم الشيخ ابن منيع (اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا تجعله علينا متشابها فنتبع الهوى) آمين .

أين الاجماع ؟ !

قال الشيخ ابن منيع في حوارهِ : (لا شك أن علماء التفسير واللغة وأهل العلم مجمعون على أن النور في الآية الكريمة - كمشكاة فيها مصباح - إلى آخر الآية من سورة النور - نور الله تعالى وأن التشبيه تشبيه لنوره تعالى وتقدس) ص 20 .

وقد أوغل في الخطأ وأصدر حكماً قاطعاً دون الاستناد إلى ما يجب من الأدلة الشرعية ونسب لعلماء التفسير واللغة وأهل العلم ما لم يصدر عنهم .

والحق أن العلماء والمفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى : " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في نور زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم " سورة النور آية 35 .

ففي هذه الآية الكريمة ذكر سبحانه النور الذي أظهر به وجود الأكوان والنور الذي أضاء به القلوب بالإيمان :

فالأول أشار إليه بقوله تعالى : " الله نور السموات والأرض " .

فهو سبحانه الذي أفاض على السموات والأرض وما فيهن نور الوجود فأطهرها من ظلمة العدم الإمكانية فإن النور هو ما كان ظاهراً بنفسه ومظهراً لغيره ، وما من ظاهر في الوجود إلا والذي أظهر وجوده هو أظهر وجوداً منه ، ولا من نير إلا والذي نوره هو أقوى نورا منه فسبحان من أظهر الظاهرات بعد ما كانت في خفايا الظلمات ، وسبحان من نور النيرات

فأشرق نورها على الكائنات ، وسبحان من تجلى بنور الإيجاد على الظلمات العدمية فأشرقت بنور الوجود .

وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام بتهجد في الليل قال : " اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت مالك السموات والأرض ومن فيهن " الحديث .

وجاء في دعائه صلى الله عليه وسلم : " أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض واشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة - أن يحل بي سخطك أو أن ينزل علي غضبك ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك " .

وأما النور الذي أضاء القلوب بالإيمان والمعرفة فهو المذكور في قوله تعالى : " مثل نوره كمشكاة " فقد قال أبي بن كعب وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين : إن المعنى مثل نور الله تعالى في قلب عبده المؤمن .

وهذا هو نور الإيمان والهداية المذكور في قوله تعالى : " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه " . وقال تعالى : " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام " الآية . روى ابن أبي حاتم وغيره أنه قيل : يا رسول الله ما هذا الشرح ؟ قال : " نور يقذف في القلب " .

وروى الترمذي وأحمد وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل "**

فلم يترك سبحانه عباده في ظلمة بل ألقى عليهم من نوره ليعرفوه (1) وليهتدوا بنوره إليه فمن تعرض لذلك النور أصابه فاهتدى ، ومن أعرض عن ذلك النور ضل وتركهم الله في ظلمات لا يبصرون لأنهم أعرضوا وتولوا .

ومن البديهي في المحسوسات أن من توجه إلى النور أضاء وجهه واستتار ومن أعرض عنه أظلم وجهه وحار .

قال الله تعالى : " أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها " . الآية فالكافر يتخبط في الظلمات وأما المؤمن فهو على نور من ربه ويقول الشيخ عبد الله سراج الدين في (الإيمان بعوالم الآخرة) : -

" وهذا النور الإيماني هو المذكور في الحديث الذي رواه أبو يعلى من حديث الفرات بن سليمان قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا يقوم أحدكم فيصلّي أربع ركعات ويقول فيهن ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تم نورك فهديت فلك الحمد ، عظم حلمك فغفرت فلك الحمد بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد " . الحديث كما في الحصن الحصين وشرح المواهب .

وإن أول القلوب وأعظم القلوب إضاءة بهذا النور وأوسع القلوب إشراقاً بهذا النور وأكثرها نصيباً من هذا النور هو قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أفاض النور على سائر القلوب والذي أشرق على مرآة القلوب فانعكس فيها ذلك النور الإيماني على حسب استعداد ذلك القلب وقابليته .

وقد قال كثير من المفسرين المحققين في قوله تعالى : " مثل نوره كمشكاة فيها مصباح " .

إن المراد بالمشكاة هو صدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة هي قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم والمصباح هو النور الإيماني المحمدي والشجرة التي يأتي منها المدد هي شجرة الوحي المحمدي صلى الله عليه وسلم فالتقى نور على نور .

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو مصباح مصابيح القلوب ونور أنوار البصائر وهو صلى الله عليه وسلم السراج المنير للقلوب والعقول والأسماع والأبصار والأفكار والوجوه والمدارك والأفهام .

وقد سماه الله تعالى بما سمي به شمس الضياء في علياء السماء ولكن وصفه بوصف أكمل وأجمل وأعلى وأسمى من وصف شمس السماء .

قال تعالى في وصف الشمس السمائية (وجعلنا سراجاً وهجاً) . وقال تعالى في وصف الشمس المحمدية (وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) وشتان بين الشمس الوهاجة التي يضر وجهها وبين الشمس المنيرة " ا . هـ .

نعاله صلى الله عليه وسلم :

في رده على الشيخ السيد محمد علوي المالكي شطح الشيخ عبد الله بن منيع شطحات واسعة ، دلت على عدم تزويجه والتماسه العذر لأخيه فقد هاجم السيد العلوي لأنه أورد شعراً لشاعر محب للنبي صلى الله عليه وسلم يمدح نعله الشريفة (ص 16) ولا أدري هل يجهل المعترض أن سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه - الذي كثيراً ما تترس ببعض أقواله في مهاجمة البدعة - يحمل في كتب الصحاح والسنة الشريفة أنه (كان صاحب النعال والمشط والمكحلة والإدواة) وهو إريق وضوئه صلى الله عليه وسلم كما أورد ذلك الإمام البخاري وغيره ، إذ كان يوقظه إذا نام ويستتره إذا اغتسل ويلبسه نعليه إذا أراد الخروج ، ويخلعها من قدميه إذا هم بالدخول وحمل به عصاه وسواكه وقد قال المرحوم الشيخ يوسف النبهاني شعراً :

فإنما متى نخضع لهيبتها نعلو * ونعل خضعنا هيبة لوقارها
حقيقتها تاج وصورتها نعل * فضعها على أعلى المفارق إنها

رحمك الله يا ابن أم عبد فقد علمتنا درساً في أن الاتباع وحده ليس كل شيء بل لابد معه من المحبة لأنه قد يتبعك من لا يحبك ويهواك خوفاً أو طمعاً واجعلنا اللهم من المحبين المتبعين فقد قال الحبيب صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) متفق عليه .

وقد حفلت كتب الصحاح والسيرة بالأحاديث الصحيحة المتواترة عن تبرك الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم بآثاره الشريفة صلى الله عليه وسلم من شعره ووضوئه وحتى بصاقه الشريف كما نقل ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله في (زاد المعاد في هدي خير العباد) وغيره .

فهل بعد ذلك يهاجم السيد العلوي ويعاب هو أو غيره من المحبين إذا تشبهوا بالسلف الصالح ؟ !

وهل كان الشيخ ابن منيع يستتكف لو أتيح له ما شرف به الصحابي الجليل ابن مسعود من حمل نعله الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم حتى روي أنه كان (يضعها في كفه) وإذا كان الحنابلة وغيرهم من فقهاء أهل السنة والجماعة أجازوا تقبيل غلاف المصحف لأنه تشرف

بمجاورة المصحف الشريف فهل يعد (شركا وكفرا) أم (محبة وتيركا) أن يقبل المحب شباك قبر النبي صلى الله عليه وسلم لأن الشباك تشرف بمجاورة الضريح الشريف الطاهر !؟

هذا والملاحظ أن الشيخ ابن منيع ومن شاركه في إعداده وطبع هجومه وتهجمه على السيد الشيخ المالكي ، قليلو البضاعة العلمية وقليلو المطالعة في كتب التراث الإسلامي الواسع العميم عدا مطالعتهم لكتب الشيخين ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى ، وإلا لعلموا أن الكثير من العلماء قد اهتموا وألّفوا في موضوع نعاله الشريف صلى الله عليه وسلم ، لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم اعتناء العلماء بنعله واهتمامهم بالبحث الدقيق والدراسة العميقة عن صفاتها ومثالها ولونها وجنسها وعددها وحاملها ومدحها والثناء عليها والتفنن في ذلك شعراً ونثراً .

وقد اجتهد في تحقيق مثال نعله صلى الله عليه وسلم بالبحث في كتب السير أئمة فحول من الحفاظ وكبار المحدثين ، فمنهم ابن العربي وابن عساكر وابن مرزوق والفارقي والسيوطي والسخاوي والتتائي والعراقي .

وامتدح النعل كثير من الأدباء المجيدين .

فمنهم أبو الحسن ابن سعد البلنسي وأبو أمية إسماعيل بن سعد السعدي بن عفير وشرف الدين بن لسيان الطنوبي المصري وأبو الحكم بن المرحل السبتي والحافظ أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي والحافظ أبو الربيع سليمان الطلاعي وعلي أبو الحسن الرعيني وعلي أبو الحسن بن أحمد الخزرجي والإمام أبو الخير محمد بن محمد الجزري والحافظ أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهري السبتي والعلامة أحمد المقرئ ولهم في ذلك القصائد الطويلة المشتملة على عظيم الثناء والتوسل والتبرك بمثال نعله صلى الله عليه وسلم وليس المقصود النعام وإنما مقصود هم بذلك من لبس النعال وما المثال المكرم إلا وسيلة للقدم التي خص الله بأكمل الأوصاف صاحبها صلى الله عليه وسلم .

وما حب النعال شغفن قلبي * ولكن حب من لبس النعالا

ويرحم الله الشيخ الفاكهاني الإسكندري المالكي إذ قال حين أبصر مثال النعل النبوي :

تريد ؟ أم الدنيا وما في زواياها ؟ * ولو قيل للمجنون ليلي ووصلها

أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها * لقال : غبار من تراب نعالها

هذا وقد ألف بعضهم رسائل خاصة في هذا الموضوع ...

ومنهم الإمام العلامة الشهاب أحمد المقرئ الذي ألف رسالة في ذلك وسماها (فتح المتعال في مدح النعال) وليس آخرهم علامة الهند الشهير الشيخ أشرف علي التهانوي الملقب بـ (حكيم الأمة) من كبار علماء (جامعة ديوبند) الإسلامية الشهيرة في الهند حيث ألف رسالة سماها (نيل الشفا بنعل المصطفى) وقد نقل القسطلاني والمقرئ عن العلماء تجارب في حصول كثير من البركة من جراء مسك وحمل مثال نعاله الشريف (يراجع شرح المواهب للزرقاني على المواهب للقسطلاني - الجزء الخامس صفحة 48 طبع دار المعرفة ببيروت)

...

وقد أطنب العلامة المقرئ في كتابه (فتح المتعال) المشار إليه سابقاً في تحديد الصفة المعتمدة والمثال المرجح لنعال الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم وقال عن المثال الذي رجحه (وهو معتمد ابن العربي وابن عساكر وابن مرزوق والفارقي والسيوطي والسخاوي والتتائي وغير واحد من الشيوخ) وذكر أسانيدهم وأسانيده (في أن نعله صلى الله عليه وسلم كانت عند السيدة عائشة رضي الله عنها ثم لم تزل تنتقل وتحذى عليها نعال وعلى ما حذى عليها من النعال نعال أخرى ثم وثم إلى أن رسم مثالها الشيوخ على الورق ونقلوه بالأسانيد حتى ألف فيه جماعة منهم أبو اليمان بن عساكر ورسمه في كتابه ا . هـ .

ثم روي كتابه بالأسانيد وقري بالضبط حتى وصل إلى المقرئ فرسمه في فتح متعال من نسخة ابن عساكر المعتمدة التي عليها خطوط العلماء والحفاظ كالسيوطي والسخاوي والديمي رحمهم الله .

وممن اهتم بذلك وكتب عنه من المتأخرين العلامة الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى وأورد فيما كتب (قال المناوي والقاري في شرح الشمائل قال ابن العربي والنعل لباس الأنبياء وإنما اتخذ الناس غيرها لما في أرضهم من الطين .

كما ذكر أن من أسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة (صاحب النعلين) لأن لباس النعال عادة العرب .

وقد صح أن نعله صلى الله عليه وسلم كانت مخصوفة أن طاقا على طاق ليس فيها شعر ولها قببالان . والقبال زمام النعل فكان صلى الله عليه وسلم يضع أحد الزمامين بين إبهام رجله والتي تليها والآخر بين الوسطى والتي تليها ويجمعهما إلى السير بظهر قدمه وهو الشراك وكان مثنى من سيرين . وكانت من جلود البقر مخصرة أي لها خصر ملسنة أي على هيئة اللسان معقبة أي لها عقب من سيور تضم به الرجل وقال بعض الحفاظ كانت صفراء ولبس الخفين ومسح عليهما صلى الله عليه وسلم) . ١٠ هـ .

وبعد ذلك فليقل الشيخ ابن منيع ما يشاء .

ليلة المولد وليلة القدر

ذكر الحافظ الشيخ القسطلاني في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم مسألة المقارنة بين ليلة القدر وليلة المولد .

وقد أخطأ بعض الناس في فهم المراد من ذلك فظن أن هذا معناه مقارنة بين ليلة القدر وليلة المولد النبوي المتكررة في كل عام كما فعل الشيخ ابن منيع في الصفحة (15) من حوارهِ وهجومه على السيد المالكي وهذا الفهم غير وارد أصلاً ..

لأن المقصود بذلك (هو ليلة المولد النبوي الحقيقية) التي كانت قبل ليلة القدر بعشرات السنين وهي قد مضت وانقضت وانتهت ..

وهذا القول مبني على أن ليلة القدر كانت بطلب من النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى قصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار الأمم السابقة فأكرمهُ الله تعالى بهذه الليلة وتفضل عليه وعلى الأمة بها بطلبه ومراجعتهِ فصارت ليلة مولده هي أم الليالي وبسببها كان كل خير وفضل .

قال الشيخ الإمام القسطلاني في كتابه المواهب فإن قلت :

إذا قلنا بأنه عليه السلام ولد ليلاً فأيهما أفضل ، ليلة القدر أو ليلة مولده صلى الله عليه وسلم .

أجيب بأن ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة :-

أحدها : أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم ، وليلة القدر معطاة له ، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه . ولا نزاع في ذلك ، فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أفضل .

الثاني : أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها ، وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها . ومن شرفت به ليلة أفضل ممن شرفت به ليلة القدر على الأصح المرتضى . فتكون ليلة المولد أفضل .

الثالث : أن ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات . فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمه العالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعم نفعاً (١ . هـ) .

وهذا اجتهاد من القائل منسوب إليه ومحسوب عليه لم يقل فيه قال الله ولا قال رسول الله وإنما اجتهد برأيه وعلل ذلك بحجيات متعددة وأستند فيه إلى ما يبرر رأيه وهذا يحتمل الخطأ والصواب والصحة والبطلان ولا أكثر من ذلك ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً ولا شك فيه ولا ريب أن ليلة القدر أفضل الليالي على الإطلاق لقوله تعالى : ([إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر](#)) .

إقطاع النبي صلى الله عليه وسلم أرض الجنة لمن يستحق ذلك

ذكر بعض أهل العلم في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه له أن يقطع أرض الجنة لمن يستحقها من أهل التوحيد ، وممن ذرك ذلك الحافظ جلال الدين السيوطي والقسطلاني والزرقاني .

قال في المواهب وشرحه : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع الأراضي قبل فتحها ولذا أفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم - الداري فيما أقطعهم النبي صلى الله عليه وسلم من الأرض بالشام وقال أنه صلى الله عليه وسلم يقطع أرض الجنة ما شاء منها لمن شاء فأرض الدنيا أولى ونقله عن الغزالي ابن العربي في القانون وأقره وأفتى به السبكي أيضاً . كذا في المواهب للقسطلاني وشرحه للزرقاني (ج - 5 - ص 242) .

(أقول) هذا الإقطاع لأرض الجنة في الحقيقة لا يخرج عن حد معنى البشارة بالجنة ، فلا فرق بين البشارة بالجنة لشخص معين وبين البشارة بشيء معين كأرض أو قصر أو غرفة أو خيمة لشخص معين بل قد جاءت شواهد كثيرة في هذا في السنة فقد بشر صلى الله عليه وسلم كثيرا بالمغرفة وبشر كثيرا بدخول الجنة وببيت في الجنة وشجرة في الجنة .

أما من غير تعيين الأشخاص فقد جاءت البشارات بذلك في كثير من الأحاديث بأن من فعل كذا بنى الله له قصرًا في الجنة ومن فعل كذا كان له كذا في الجنة ومن فعل كذا كان له من الحور العين ، كذا إلى آخر تلك البشارات التي رواها العلماء في الترغيب والترهيب للمنذري ورياض الصالحين للنووي وحادي الأرواح لابن القيم وحادي الأنام للملا.

ومعلوم أن أي شيء من هذا النوع أنها ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم على جهة التكريم والتقدير لبيان فضله ومقامه عند ربه ، وإلا فإنه مبلغ عن الله ومخبر عن مولاه بما كتبه وقضاه ومبشر بذلك الذي أذن الله له فيه ، فإذا بشر أحداً بالمغفرة أو بشره بدخول الجنة أو بشره بأرض فيها أو بقصر فيها أو ببيت فيها وهو المسمى (بالإقطاع) فإنما يخبر عن حق ويتكلم عن صدق (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) .

فلو قال قائل أنه صلى الله عليه وسلم له أن يبشر بالمغفرة أو الجنة أو بقصر فيها فهل يشك مسلم في أنه صلى الله عليه وسلم لا يقدم على هذا الأمر إلا بعلم يقيني عن وحي أو إلهام أو رؤيا ؟

وهو يتصور أن يكون المقصود من هذا الأمر هو التصرف الذاتي المشارك لتصرف الله سبحانه وتعالى في المنع والإعطاء والنفع والضر ؟

حاشا وكلا أنه لا يوجد بين جهلة المسلمين من يعتقد ذلك ونحن نبرأ إلى الله منه خصوصا أن قائل ذلك الكلام (أعني الإقطاع في الجنة) مؤمن موحد بالله يعرف أن محمد رسول الله بشر وأنه عبد الله ورسوله وأنه لا يملك من خصائص الربوبية شيئا وأنه لا يتصرف إلى بإذن الله (إنما أنا قاسم والله معط) .

هذا وقد جاء في الحديث الشريف ما يدل على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بهذه الضمانة في الإقطاع بقوله : (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مزاحا ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) رواه أبو داود في باب حسن الخلق .

وقد جاء في الحديث أن الربيع - عمه أنس بن مالك ، كسرت ثنية جارية من الأنصار فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص ، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك : لا والله لا تكسر ثنيتها يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أنس ! كتاب

الله القصاص) فرضى القوم وقبلوا الأرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من عباد اله من لو أقسم على الله لأبره) متفق عليه .

فهذا الصحابي الجليل أقسم على ما لا يدري وما لا حق له فيه وما لا علم له فيه والله سبحانه وتعالى أكرمه فحقق ظنه وبلغه أمله ولم يحنثه ولم يخيبه وأبر قسمه فيما حلف عليه . فهل ترى أ، ذلك لا يكون لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيما لو أقدم على شيء من أمور الدنيا أو الآخرة اعتمادا على عظيم رجائه في الله وكبير ظنه في مولاه .. خصوصا وأن الله يقول : (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا) .

إن هذا ليس بكبير ولا كثير على صاحب المقام المحمود الذي يقول الله سبحانه وتعالى له : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) والذي يقول له كما جاء في صحيح مسلم (**إنا لن نخزيك في أمتك أبدا**) .

وفي الحديث : (**إنما أنا قاسم والله معط**) فبين صلى الله عليه وسلم أنه يقسم بين عباد الله .

والله تعالى يجيز تقسيمه ذلك ويوافق على عطائه ولا يخزيه فيما فعل ولا يخيبه لكرامته عنده لأنه لا يتحرك ولا يخطر على باله وهواه إلى ما يرضي مولاه .

وإذا كان الإيمان لا يكون كاملاً في المؤمن إلا إذا كان هواه تابِعاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بهواه هو صلى الله عليه وسلم ؟

ونحن نرى أن الكلام في هذه المسألة يدور بين الصواب والخطأ للاختلاف في ثبوت النص بعينه على المسألة ولا صلة للإيمان والكفر بهذا البحث وأمثاله .

نسأل الله أن يعرفنا مقام هذا النبي الكريم .

مقاليد السموات والأرض

وهي من الخصائص التي اشتبهت على بعض الناس فنظر إليها من زاوية الألوهية فقط دون ملاحظة لمعانيتها المتعددة ، كما فعل الشيخ ابن منيع في صفحة 9 و صفحة 19 و صفحة 22 من الحوار) .

وإننا نعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا ريب بأن مقاليد السموات والأرض هي لله سبحانه وتعالى . والآية صريحة في ذلك بقوله (**له مقاليد السموات والأرض**) فالضمير في قوله " له " يعود إلى الله سبحانه وتعالى لا شك فيه ولا ريب .

فمقاليد السموات والأرض ، إن كانت بمعنى (أنه تعالى خالق الأشياء كلها وربها ومليكتها والمتصرف فيها ، وهي كلها تحت تدبيره وقهره كلاءته) أقول : إن كانت المقاليد بهذا المعنى (فهي خاصة بالله سبحانه وتعالى لا شريك له في ذلك) وإن كانت بمعنى المفاتيح أي مفاتيح الخزائن فلا مانع أن يتفضل بها الله على من يشاء من عباده ويكرمه بها ..

وقد جاء تفسيرها بهذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن كما ذكره الطبري والقرطبي في التفسير .

ويشهد لهذا ما جاء في الحديث الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم قال : (**أوتيت مفاتيح خزائن الأرض**) .

وما جاء أيضاً في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان والضياء المقدسي عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**أتيت بمقاليد الدنيا**) ورجاله رجال الصحيح وبذلك يسقط توهين (ابن منيع) عن (ابن الجوزي) له فإن الأخير أورد في (الموضوعات) الضعيف بل الحسن والصحيح .

ويشهد له أيضاً ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**إني رأيت في غداتي هذه كأني أوتيت بالمقاليد والموازين**) رواه ابن مردويه عن ابن عمر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور .

وقد جاء عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال : (**هي : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله**) أخرجه أبو يعلى ويوسف القاضي وأبو الحسن القطان وابن سني في عمل اليوم والليلة ، وذكره ابن كثير وحكم بغيرابته ونكارته .

وجاء عن علي أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقاليد فقال : (**يا علي ، لقد سألت عن عظيم ، المقاليد أن تقول عشرا إذا أصبحت وعشرا إذا أمسيت : لا إله**

إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله). (تفسير القرطبي ج 15 / 275 والدر المنثور للسيوطي ج 5 / 333 وتفسير ابن كثير سورة الشورى) .

فمقاليد السموات والأرض بهذا المعنى قد أعطاهما الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بل وأمثالها معها ، كما جاءت النصوص الدالة على ذلك ومهما كانت درجاتها ، فالقضية لا تنازع الربوبية في شيء ، والله سبحانه وتعالى أكبر من ذلك وأجل وأعلى وأعز .. والأمر واضح .

وقد جاء في الحديث (أن موضع سوط في الجنة هو خير من الدنيا وما فيها) وهذا يشمل السموات والأرض .

فإذا كان هذا سوط واحد من اتباع محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فكيف به عليه الصلاة ، وماذا تكون مقاليد السموات والأرض في جانب ماله من الفضل والمقام ؟!

وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن آخر أهل النار دخولاً الجنة (أن الله يعطيه مثل الدنيا وعشرة أمثالها ومثله ومثله) ثم يقول صلى الله عليه وسلم : (ذلك أدنى أهل الجنة منزلة) .

فلماذا إذن سوء الظن واعتبار الأمر داخلاً في (البدع والخرافات والدعوة إلى الضلال والوثنية) وأنه من (الشركيات والضلالات والمنكرات) كما جاء في الكثير من صفحات الهجوم على السيد المالكي؟

(القبر الشريف والكعبة المشرفة)

هاجم الشيخ ابن منيع السيد الشيخ المالكي لأنه قال " إن زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم من كمال الحج وأنه ذكر عشر كرامات لزيار قبره الشريف " ولنا على المهاجم التعقيب التالي :

ذكر القاضي عياض في كتاب الشفاء أفضلية قبره صلى الله عليه وسلم على سائر بقاع الأرض .

فقال (ولا خلاف أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض) اهـ الشفا . ووافق على ذلك شارح الشفا الشيخ الخفاجي فقال : (بل أفضل من السموات والعرش والكعبة

كما نقله السبكي رحمه الله (اهـ من نسيم الرياض ج3 ص 531) ونقل عن ابن عبد السلام مثل ذلك .

رأي ابن تيمية :

أما الشيخ ابن تيمية فإنه لم يوافق على هذا التفضيل ولكنه نقل ذلك عن عياض ولم يرد عليه بأكثر من أن قال أنه لم يوافق أحد عليه . وهذا نص كلامه في الفتاوى .

وسئل أيضاً (الفتاوى ج 27 ص 38) .

عن رجلين تجادلا فقال أحدهما : إن تربة محمد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من السموات والأرض وقال الآخر الكعبة أفضل . فمع من الصواب؟

فأجاب : (الحمد لله أما نفس محمد صلى الله عليه وسلم فما خلق الله خلقا أكرم عليه منه ، وأما نفس التراب فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام بل الكعبة أفضل منه ولا يعرف أحد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض ولم يسبقه أحد إليه ولا وافقه أحد عليه .. والله أعلم) .

رأي ابن القيم :

أم الشيخ الإمام ابن القيم فقد نقل فتوى عن ابن عقيل ، من كبار أئمة الحنابلة ، ولم يعلق عليها بشيء ولم يردّها فدل على أنه موافق عليها .. وهذا نص كلامه :

(فائدة : قال ابن عقيل سألتني سائل أيما أفضل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو الكعبة ؟ فقلت إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وإن أردت وهو فيها فلا والله لا العرض وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة ، لأن الحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح) اهـ بدائع الفوائد ج 3 ص 135 .

ابن القيم وفضل آل البيت

في كتابه (الذخائر النبوية) نقل السيد الشيخ محمد علوي المالكي عن الشيخ ابن القيم كلامه عن خصائص آل البيت النبوي . ولم يقل أبداً أن مراده بذلك آل البيت المحمدي الذين هم ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . ومن زعم أن في ذلك إيهاماً فقد أخطأ لأن الكلام الذي

نقله يتضمن كلمات تدل بصراحة على المراد وتتفي الإيهام المزعوم . والدليل على ذلك قوله في صفحة (286) :-

(وهذه الخصائص وأضعاف أضعافها من آثار رحمة الله وبركاته على أهل هذا البيت فلهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نطلب له من الله أن يبارك عليه وعلى آله كما بارك على هذا البيت المعظم صلوات الله عليهم أجمعين...)

ومن بركاتهم أن الله أعطاهم من الخصائص ما لم يعط غيرهم فمنهم من اتخذه خليلاً) انتهى) .

فإن أجهل طالب علم عندنا إذا قرأ هذه الجملة يعرف من هم آل البيت الذين أراد وأورد كلام ابن القيم في حقهم .

ويكفي في فضل آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم الحديث الذي أورده الشيخ ابن القيم في جلاء الأفهام ص 138 . عن الإمام مسلم صاحب الصحيح بسنده إلى زيد بن أرقم وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) إلى آخر الحديث (١ . هـ) .

والحديث الذي أخرجه الترمذي وحسنه الحاكم عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما) .

ثم قال ابن القيم : (فآله صلى الله عليه وآله وسلم لهم خواص منها حرمان الصدقة ، ومنها أنهم لا يرثونه ، ومنها استحقاقهم خمس الصدقة ، ومنها اختصاصهم بالصلاة عليهم ، وقد ثبت أن تحريم الصدقة واستحقاق خمس الخمس وعدم توريثهم مختص ببعض أقاربه صلى الله عليه وآله وسلم . فكذاك الصلاة على آله) ١ . هـ .

وقد قال الشيخ ابن تيمية في " رسالة العقيدة الواسطية " وهو يذكر عقيدة أهل السنة ويتبرأ من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل :-

قال : " ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث قال في يوم غدير خم أذكركم الله في أهل بيتي .

وقال ايضا للعباس عمه ، وقد شكنا إليه أن بعض قريش تجفوا بني هاشم ، فقال : والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبكم الله ولقرايتي ..

..وقال أن الله اصطفى بني اسماعيل واصطفى من بني اسماعيل كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (ا.هـ.)

وقال في كتابه " الإقتضاء " صفحة 71 :

(أن الذي عليه اهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب افضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم ورومهم وفرسهم وغيرهم ، وان قريشا افضل العرب وان بني هاشم افضل العرب وان بني هاشم افضل قريش وان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم افضل بني هاشم فهو افضل الخلق نفسا ونسبا) ا.هـ .

وقال في " الاقتضاء " صفحة 73 :

(روى الترمذي عن المطلب أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله مغضبا ، وانا عنده فقال : ما اغضبك ؟ فقال : يا رسول الله ما لنا ولقريش ، اذا تلاقوا بوجوه مبشرة ، واذا لقونا بغير ذلك ، قال فغضب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى احمر وجهه ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الله ولرسوله الخ .

قال الترمذي ، هذا حديث حسن صحيح قال وروى احمد في المسند مثل هذا عن المطلب بن ربيعة قال : دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال : يا رسول الله انا لنخرج فنرى قريشا تتحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرق بين عينيه ، ثم قال : والله لا يدخل قلب امرئ ايمان حتى يحبكم الله ولقرايتي ، قال ابن تيمية والحجة قائمة بالحديث (ا.هـ .

فليعلم ذلك الشيخ ابن منيع الذي أوهم قراءه في صفحة (17) من حوارهِ أن تمجيد ومحبة آل البيت الكرام (هو مذهب الرافضة الاثنى عشرية) وليتق الله ثم يستغفره ويتوب اليه هو وكل من رضي بقوله ..

وكل من اراد أن يوهم الناس بأن النبي صلى الله عليه واله وسلم لا اهل له ولا آل فعلق على قبره الشريف مدلسا قوله تعالى (ما كان محمد أباً احد من رجالكم) وقد نزلت هذه الاية كما

يعلمون في نفي التبني ، ولم نزل لتبني أن له صلى الله عليه وسلم آل بيت كرام عليه وعليهم افضل الصلاة والتسليم .

عرض الاعمال على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في صفحة (15) من حوار انكر الشيخ ابن منيع على الشيخ السيد المالكي انه صلى الله عليه وسلم (تعرض عليه الاعمال) أي اعمال امته ولدينا في الرد عليه الادلة الشرعية الآتية :

فإن الله تعالى : " **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ".

وجاء في الاحاديث النبوية ما يدل على أن اعمال المؤمنين تعرض على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي اعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم** " وقد قال الشيخ عبد الله سراج الدين في شرح هذا الحديث في كتابه (الايمان بعوالم الآخرة).

فأعمال المؤمنين تعرض عليه صلى الله عليه وسلم والحكمة في ذلك كما بين صلى الله عليه وسلم هي أن ما كان من اعمالهم خيرا حمد الله تعالى وفرح بها وبأهلي بها في ذلك العالم وما كان غير ذلك من هنات وسيئات استغفر الله لهم، ولا تعارض بين هذا الحديث وبين ما جاء في حديث الحوض حيث قال صلى الله عليه وسلم : " **وليرفعن إلي رجال منكم حتى اذا هويت اليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أي رب اصحابي ، فيقال : كما في الصحيحين فان هذا محمول على المرتدين الذين ارتدوا بعده صلى الله عليه وسلم عن دينهم بدليل قوله : " **سحقا لمن بدل من بعدي** " وذلك انهم كفروا بعده صلى الله عليه وسلم، واعمال الكفار من امته لا تعرض عليه اذ لا فائدة لعرضها لأن الحكمة في هذا العرض فرحه ومباهاته بأعمالهم الصالحة واستغفاره لأعمالهم السيئة ، ويدل على هذا قول عائشة رضي الله عنها كما في البخاري : " **اذا اعجبك حسن عمل امرئ مسلم** " ، فقل : " **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** " .**

ومن جملة ما يعرض عليه صلى الله عليه وسلم ويسر ويفرح به صلوات المصلين عليه صلى الله عليه وسلم .

روى ابن ماجه بإسناد جيد عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اكثروا علي من الصلاة كل يوم جمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي إلا عرضت علي صلته حتى يفرغ منها " قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال صلى الله عليه وسلم : " أن الله حرم على الارض أن تأكل اجساد الانبياء " . قال الحافظ المنذري رواه احمد وابو داوود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه .

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " حيثما كنتم فصلوا علي أن صلواتكم تبلغني " .

وعن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صلى علي بلغني صلته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات " رواه الطبراني في الاوسط بإسناد لا بأس به .

وقد اخرج البزار في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فاذا انا مت كانت وفاتي خيرا لكم ، تعرض علي اعمالكم ، فما وجدت من خير حمدت الله ، وان وجدت شرا استغفرت الله لكم) صححه الحافظ العراقي في " طرح التثريب " وصححه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ، وصححه الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى ، ونص الزرقاني في شرح المواهب اللدنية على أن اسناده جيد ، ونص كل من الشهاب الخفاجي وملا على قاري في شرح الشفا على أن اسناده صحيح ولا يعارضه حديث الحوض ، فان اعمال امته الاسلامية هي التي تعرض عليه ، اما من حيل بينهم وبين الشرب واخذوا إلى جهة النار فهم من المرتدين ، أو المناقين ، أو المصرين على الكبائر .

وهذا الحديث متواتر تواترا معنويا لورود معناه من حديث جماعة من الصحابة يبلغ عددهم حد التواتر وهم :

(1) عبد الله بن مسعود ، ولحديثه طرق تزيد على الخمسة .

(2) وانس بن مالك ولحديثه طرق تزيد على الستة .

(3) وابو هريرة ولحديثه طرق تزيد على العشرة .

(4) وعمار ابن ياسر .

- (5) و ابو امامة .
- (6) و علي بن ابي طالب .
- (7) و ابنه الحسن .
- (8) و ابن عباس .
- (9) و ابو بكر الصديق . (10)
- و اوس بن اوس الثقفي .
- (11) و ابو الدرداء .
- (12) و ابو مسعود البدي الانصاري .
- (13) و عمر بن الخطاب .
- (14) و ابنه عبد الله بن عمر .

وروى كذلك مرسلا عن جماعة من التابعين منهم

- (1) بكر ابن عبد الله المزني .
- (2) و الحسن البصري .
- (3) و خالد ابن معدان .
- (4) و ابن شهاب الزهري
- (5) و يزيد الرقاشي .
- (6) و ايوب السخيتاني .

وفي الباب اخرون كثيرون غير المذكورين من الصحابة والتابعين، وهذا القدر كاف في اثبات التواتر المعنوي على الاقل ، خصوصا على رأي من يثبت التواتر الفعلي بسبعة أو عشرة ، وهو الذي رجحه الحافظ السيوطي وغيره .

وبذلك ثبت أن حديث عرض الاعمال هذا متواتر على جميع الاصطلاحات ، لوجود ما يزيد على العشرين في كل طبقة من طبقات رواته ، وقد تقرر في كتب الاصول ، والفقه والكلام أن منكر التواتر بعد قيام الحجة عليه يكفر .

وروى اسماعيل القاضي في (فضل الصلاة على النبي) عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : (اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه) .

يقول المنتطعون كذبا وزورا : هذا الحديث وان اشتهر على السنة كبار الناس وصغارهم ، فقد خلت منه جميع كتب السنة .

ويقولون : ومع هذا فان الذي رواه وقفه على (بكر ابن عبد الله المزني) ، وهو تابعي مشهور ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابي احد من رواة السنة لا في صحيح الكتاب ولا في ضعيفها ، وهو منقطع ، لا يصلح للاحتجاج به .

وقد كتب المحدث الثبت الشيخ عبد الله الصديق ما ملخصه : (في كتاب قضايا الوسيلة) .

اقول : والحديث المذكور حديث صحيح ، ولا مطعن فيه ولا مغمز ورود من حديث ابن مسعود وانس بن مالك ، ومن مرسل بكر بن عبد الله المزني .

اما حديث ابن مسعود رضي الله عنه فخرجه البزار في مسنده ، قال حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد المجيد ابن عبد العزيز بن ابي دؤاد ، عن سفيان عن عبد الله ابن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **أن الله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تعرض علي اعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله ، وما رأيت من شهر استغفرت الله لكم)** قال البزار لا نعلمه يروي عن عبد الله الا بهذا الاسناد ا

قال الحافظ العراقي في كتاب الجنائز ، من " طرح التثريب في شرح التقریب " اسناده جيد ، وقال الحافظ الهيثمي في " مجمع الزوائد " والمحدث القسطلاني في " شرح البخاري " رجال اسناده رجال الصحيح ، وقال الحافظ السيوطي في كتاب " المعجزات والخصائص " اسناده صحيح، وكذا قال علي القاري والشهاب الخفاجي ، في اول شرحيهما على " الشفا " .

واما حديث انس فرواه الحرث بي ابي اسامة في مسنده ، وابن عدي في " الكامل " من طريق خراش عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فاذا انا مت كانت وفاتي خيرا لكم ، تعرض علي اعمالكم ، فان رأيت خيرا حمدت الله ، وان رأيت غير ذلك استغفرت لكم**) .

قال الحافظ العراقي في " المغني " اسناده ضعيف لضعف خراش هـ قلت لكن له طريق اخر ، قال الحافظ ابو نصر الحسن بن محمد بن ابراهيم اليونارتي الاصبهاني ، في معجمه ، سمعت الشريف واضح بن ابي تمام الزينبي يقول : سمعت ابا علي بن تومة يقول ، اجتمع قوم من الغرباء عند ابي حفص بن شاهين ، فسألوه أن يحدثهم اعلى حديث عنده فقال لأحدثنكم حديثا من عوالي ما عندي ، حدثنا عبد الله ابن محمد البغوي ، حدثنا شيبان بن فروخ الايلي ، حدثنا نافع ابو هرمز السجستاني ، سمعت انس بن مالك يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (**حياتي خير لكم**) الحديث .

واخرجه ابن النجار في تاريخ بغداد عن معمر بن محمد الاصبهاني ، عن الحافظ ابي نصر اليونارتي به ، وهذا اسناد ضعيف ايضا لاتفاقهم على ضعيف ابي هرمز (ولكنه مجبور) .

وعن انس حديث اخر اخرجه ابو نعيم في " الحلية " قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا احمد بن عيسى ابن ماهان الرازي حدثنا محمد بن مصفي ، حدثنا بقرية ، حدثنا عباد بن كثير عن عمران - وهو القصير - عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أن أعمال امتي تعرض علي في كل يوم جمعة واشتد غضب الله على الزناة**) .

واما مرسل بكر بن عبد الله المزني فأخرجه الحرث ابن ابي اسامة في مسنده قال حدثنا الحسن بن قتيبة ، حدثنا جسر بن فرقد عن بكر بن عبد الله المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تعرض علي اعمالكم ، فما كان من حسن ، حمد الله وما كان من سيء استغفرت الله لكم**) اسناده ضعيف ، لضعف الحسن بن قتيبة (وهو مجبور بالمتابعات والشواهد وغيرها) .

لكن خرج اسماعيل القاضي المالكي من طريق اخر فقال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله المزني به مرفوعا ، وهذا اسناد صحيح ، صححه الحافظ ابن عبد الهادي مع تعنته ، وقال ايضا ، حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا حماد بن سلمة عن كثير ابي الفضل ، عن بكر بن عبد الله به مرفوعا ، وهذا اسناد صحيح ايضا .

وفي الباب عن سعيد الشامي والد عبد العزيز قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الانبياء وعلى الالاء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وترداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم**) رواه الحكيم الترمذي في (نواذر الأصول) من طريق عبدالغفور بن عبد العزيز سعيد الشامي ، عن ابيه عن جده ، وكانت له صحبة ، وهذا اسناد ضعيف لضعف عبد الغفور

وعن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**انكم تعرضون علي بأسمائكم ومساكم فأحسنوا الصلاة علي**) اخرجه عبد الرزاق .

وبالجملة فالحديث صحيح لا مطعن فيه وهو يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم اعمالنا ، بعرضها عليه ويستغفر الله لنا على ما فعلنا من سيء وقبيح ، وقد اخبر الله في القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم شهيد على امته ، وذلك يقتضي أن تعرض اعمالهم عليه ، ليشهد على ما رأى وعلم ، قال ابن المبارك : اخبرنا رجل من الانصار عن المنهال بن عمرو ، انه سمع سعيد بن المسيب يقول : (ليس من يوم الا يعرض فيه على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشيا ، فيعرفهم بأسمائهم واعمالهم ، فلذلك يشهد عليهم ، ويقول الله تعالى : (**فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**) أهـ .

وقال القرطبي في التذكرة (باب ما جاء في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على امته) ثم اورد اثر سعيد بن المسيب السابق ، ثم قال : قد نقدم أن الاعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس وانها تعرض على الانبياء والالاء والامهات يوم الجمعة، قال ولا تعارض فانه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام . أهـ .

وروى الطبراني باسناد ضعيف ، عن ابن عباس قال لما نزلت (**يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا**) وقد كان امر عليا ومعازدا أن يسيرا إلى اليمن فقال : (انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا) فانه قد انزل علي : (**يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على امتك ، ومبشرا بالجنة**)

، ونذيراً من النار ، وداعياً إلى شهادة ألا إله إلا الله بأذنه ، وسراجاً منيراً بالقرآن) فالقرآن كما ترى يؤيد حديث عرض الاعمال ويعضده .

فان قيل : قد اخبر الله تعالى عن هذه الامة انها تشهد على غيرها ، ولم يرد في حديث ولا في اثر أن اعمال الامم تعرض عليها ، فالجواب من وجهين :

الأول : أن عرض الاعمال مما خص به نبينا عليه الصلاة والسلام ، كما خص في قبره بحياة اكمل من حياة الشهداء ، وبأن جسده لا يبلى .

الثاني : انه ورد في الصحيحين أن هذه الامة تشهد على اخبار نبيها وكلامه ، وذلك انها اذا شهدت بأن الانبياء بلغوا امهم ، فيقال وما علمكم ؟ فتقول اخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه ، وهكذا صح في الحديث وهو واضح لا خفاء به.

فان قيل : فما تقول فيما رواه الطبراني وغيره عن محمد ابن فضالة أن النبي صلى الله عليه وسلم امر قارئاً يقرأ ، فلما بلغ قوله تعالى : (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد) الآية . بكى حتى اضطرب لحياه ، وقال : (أي رب شهدت على من انا بين ظهرانيه فكيف بمن لم ار) فربما يفهم بعض الجهلة من هذا انه ينفي عرض الاعمال .

قلت هذا الحديث مؤيد لعرض الاعمال لا ناف له ، بل هو احد الاسباب التي لأجلها اكرم الله نبيه بهذه الخصوصية حتى تكون شهادة على امته ، عن مشاهدة وعيان ، كما اكرمه بعرض امته مع الامم الاخرى عليه ، وهو في المدينة كما ثبت في الصحيحين .

اما أن الحديث خلت منه جميع كتب السنة فهذا كذب وجهل ، فان الحديث موجود في كثير من كتب السنة كطبقات ابن سعد ، ومسند البزار ومسند الحارث ، وتاريخ ابن النجار ، وطرح التتريب للحافظ العراقي ، وبغية الحارث بزوائد مسند الحارث ، ومجمع الزوائد كلاهما للحافظ الهيثمي والجامع الصغير والجامع الكبير ، والخصائص الكبرى الثلاثة للحافظ السيوطي ، وشرح البخاري للقسطلاني ، وكنز العمال للمتقي الهندي وغيرها .

اما عن رواية وقفه علي بن عبد الله المزني فهذا خط ناشئ عن جهل ، فان مثل هذا لا يسمى موقوفاً ، ولا يمكن أن تنطبق عليه حقيقة الموقوف ، بحال من الاحوال ، وانما تنطبق عليه حقيقة المرسل لا غير .

اما انه لم يذكر فيه الصحابي احد من رواة السنة لا في صحيح الكتب ولا في ضعيفها فكذب مبني على جهل ، فان الحديث وارد من طريق ابن مسعود وانس .

وورد معناه من طريق سعيد الشامي ومجاهد كما تقدم كل ذلك ، بل وصلت طرقه إلى عشرين طريقا فانتهى القول بضعفه ، فهو صحيح من كل وجه. أ . هـ .

فهل يجوز بعد ذلك لعالم أو طالب على انكار هذه الحقيقة الشرعية؟!؟

عرض الاعمال على الاقارب والعشيرة في البرزخ

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند آية : " **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** " الآية .

قال : وقد ورد أن أعمال الاحياء تعرض على الاموات من الاقرباء والعشائر في البرزخ ثم اورد حديث ابي داوود الطيالسي بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إن أعمالكم تعرض على اقاربكم وعشائركم فان كان خيرا استبشروا به ، وان كان غير ذلك قالوا : اللهم الهمهم أن يعملوا بطاعتك** " .

ثم اورد حديث الامام احمد بإسناده عن انس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **إن أعمالكم تعرض على اقاربكم وعشائركم من الاموات فان كان خيرا استبشروا به ، وان كان غير ذلك قالوا : اللهم لاتمتهم حتى تهديهم كما هديتنا** " .

وروى الامام ابن المبارك بإسناده عن ابي الدرداء انه كان يقول: أن أعمالكم تعرض على امواتكم فيسرون ويساعون ثم يقول : اللهم اني اعوذ بك أن اعمل عملا اخرى به عند خالي عبد الله بن رواحه .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " **تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى وتعرض على الانبياء وعلى الالباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فانقوا الله ولا تؤذوا موتاكم** " اورده في الجامع الصغير وقال رواه الحكيم الترمذي عن والد عبد العزيز رامن الحسنه.

وأورد أبو عبد الله القرطبي بإسناده إلى سعيد بن المسيب أنه قال: ليس يوم إلا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم .
أهـ .

قال أبو عبد الله ولا تعارض - أي بين ما جاء عن سعيد وبين ما تقدم فإنه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .
أهـ من تفسير ابن كثير .

ومن خير ما نختم به ردنا على إنكار الشيخ ابن منيع وشيعته لهذه الحقيقة الشرعية قول الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي المتوفي سنة 795 هـ في كتابه المشهور (لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف) في صفحة (91) من طبعة (دار الجيل - بيروت) . "أعمال الأمة تعرض على نبيها في البرزخ فليستح عبد أن يعرض على نبيه من عمله ما نهاه عنه " .

(قبأي حديث بعده يؤمنون) !؟

الفصل التاسع

المفهوم الصحيح

للسنة والبدعة

سبق أن وعدت في مقدمة هذا الكتاب بإفراد فصل خاص للحديث عن (السنة والبدعة) لأنه بسبب الفهم الخاطئ للسنة والبدعة والاحاديث النبوية الشريفة يثور كل هذا الغبار التي يلبس ثوب التبديع والتشريك والتكفير لأهل القبلة واهل التوحيد من مخالفي بعض المشايخ وشيوخهم كما حصل من كل من الشيخين ابن منيع والتوحيدي خاصة ومن معهم بعامة ، ولذلك رأيت أن اضمن كتابي هذا بحثا قيما في هذا الموضوع الخطير المختلف فيه وجدته وتسلمته من يد مؤلفه السيد عبد الله بن محفوظ باعلوي الحسيني الحضرمي رئيس القضاء الشرعي بحضرموت سابقا مخطوطا .

واسأل الله تعالى أن يوفقه لنشره كاملا وقد اختصرت منه قبسات وفقرات فيها الفائدة والنفع أن شاء الله تعالى لمن كان له قلب أو ألقى السميع وهو شهيد .

السنة والبدعة

السنة والبدعة امران متقابلان في كلام صاحب الشرع صلى الله عليه وآله وسلم فلا يتحدد احدهما إلا بتحديد الاخر بمعنى انهما ضدان (وبضدها تبين الاشياء) وقد جرى كثير من المؤلفين إلى تحديد البدعة دون أن يقوموا بتحديد السنة اولا لأنها الاصل ، فوقعوا في ضيق لم يستطيعوا الخروج عنه واصطدموا بادلة تناقض تحديدهم للبدعة ولو انهم سبقوا إلى تحديد السنة لخرجوا بضابط لا يتخلف .

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم حث على السنة اولا ثم حذر من مقابلها البدعة كما ترى في الاحاديث الآتية :

1. حديث جابر عند مسلم (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته : ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) . وقد اخرجه البخاري موقوفا على ابن مسعود .

2. يوضحه حديث العرباض عند ابي داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه وغيره : (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب ودرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فإوصانا فقال : اوصيكم بتقوى الله عزوجل والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي . وانه من يعيش بعدي فسيري اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة) .

3. يوضحه ايضا حديث جرير عند مسلم (من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من اجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اوزارهم شيء) ومثل هذه الاحاديث احاديث اخرى تدور حولها منها حديث ابن مسعود عند مسلم (من دل على خير فله مثل اجر فاعله) .

وحديث ابي هريرة عند مسلم (من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص من اجورهم شيء ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من تبعه لا ينقص من اجورهم شيء ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاتم ..) الخ

فانت ترى في الحديث الاول مقابلة المحدثه والبدعة بالهدى النبوي وان هدى الرسول هو خير الهدى والشر في المحدث المناقض لهديه فهو البدعة .

وفي الحديث مقابلة واضحة - عليكم بسنتي وسنة الخلفاء .. الخ واياكم ومحدثات الامور فأن كل محدثة بدعة .

وفي الحديث الثالث السنة الحسنة مقابل السنة السيئة - من سن سنة حسنة . ومن سن سنة سيئة اذا فالسنة اولا وهي الاصل وما خرج عنها فهو البدعة فما هي السنة التي جاءت في حديث العرباض التي قابلها في الحديث بالبدعة .

السنة في لغة العرب والشرع هي الطريقة وهي هدى الرسول صلى الله عليه واله وسلم في حديث جابر ومنه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتتبعن سنن من قبلكم - أي طريقتهم - وهو حديث صحيح مشهور كقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة إلى قوله ومن سن في الاسلام سنة سيئة أي طريقة كما سبق .

فطريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هديه وقبوله وردة هي السنة وهي ايضا مفسرة بذلك في حديث جرير . سنة حسنة وسنة سيئة يعني طريقة حسنة أو طريقة سيئة ولا يحتمل غير ذلك فليس المراد اذا ما يفهمه عامة الطلاب فضلا عن العوام انها الحديث النبوي أو ما يقابل الفريضة فان الاول مصطلح المحدثين والثاني مصطلح الفقهاء والاصوليين وكلاهما محدث ليس مرادا هنا .

فسنة الرسول هي طريقته في الفعل والامر والقبول والرد وهي طريقة خلفائه الذين سلكوا طريقته في الفعل والامر والقبول والرد اذا فما احدث لا بد من عرضه على سنة الرسول وطريقته في القبول والرد قال الراغب الاصفهاني في مفردات القرآن في مادة سنن صفحة 245 ما نصه فالسنن جمع سنة وسنة الوجه طريقته وسنة النبي صلى الله عليه وسلم طريقته التي كان يتحراها وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو : (سنة الله التي قد خلت من قبل) (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) ، فتبينه أن فروع الشرائع وان اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله وجواره ا هـ بحروفه وقال الحافظ ابن تيمية في كتابه الاقتضاء ما نصه : (وسنة الجاهلية : كل عادة كانوا عليها فان السنة هي العادة وهي الطريقة التي تتكرر لتتسع لأنواع الناس ما يعدونه عبادة او لا يعدونه عبادة) ا . هـ ص 76 .

وقال الحافظ في الفتح عند تفسير الفطرة في خصال الفطرة قال : والتعبير في بعض روايات الحديث بالسنة بدل الفطرة يراد بها الطريقة لا التي تقابل الواجب وقد جزم بذلك أبو حامد والماوردي وغيرهما وقالوا هو كالحديث الاخر (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء) .. الخ .

فاذا تأكدنا من مجموع هذه النصوص والنقول أن المراد بالسنة التي قابلها الرسول بالبدعة هي (الطريقة) فعلينا أن نتعرف سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما احدث في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم مما لم يكن فعله قولاً ولا امر به امرأ خاصاً ولكن فهمه من اجتهد وعملوه وعلينا أن نتتبع ذلك لنعرف طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في القبول والرد وهذا التتبع سيعطينا حكماً يقينا لسنته فيما يحدث من امور الخير بعده فما وافق سنته فهو من السنة وما خالف سنته وهديه فهو من البدعة

ومنها سنعرف ما يريد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قوله (**من دعا إلى هدى ومن دعا إلى خير ومن دعا إلى ضلالة**) في الاحاديث الصحيحة التي سبق وان سقناها من الصحيح ، ونعرف ما يجب أن يقبل وما يجب أن يرد وسوف يتميز عندنا ما كان من السنة وما كان من البدعة ثم نتبع بعد ذلك الانواع التي حدثت في عهد الخلفاء لنعرف طريقتهم كذلك صورا من الانواع التي ردها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ..

قد يقول قائل أن ما اقره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يكون سنة باقراره له ونقول نعم هو كذلك ولا شك ولكنه ايضا دليل هاد إلى تعرف سنة الرسول وطريقته في القبول اذ كثير مما اقره لم يصبح سنة ولم يقل احد بانه سنة لأن عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الافضل والاحرى بالاتباع ولكنه يعطينا صورة واضحة في انه صلى الله عليه وآله وسلم لا يرد شيئا من الخير الذي جاء به اذا لم يصادمه نسا ولم تترتب عليه مفسده ولا يعارض هديه صلى الله عليه وآله وسلم لكنه من الخير الذي جاء به وهذا معنى قول العلماء أن ما شهد له شاهد من الشرع بالطلب خاصا أو عاما ليس من البدعة وان لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعله بخصوصه أو امر به امرا خاصا فهذه طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما سنراها في عشرات من الاحاديث الصحيحة والحسنة ، وكذلك كان خلفاؤه الراشدون وصحابته الكرام الهداة المهديون وسنورد ادلة كثيرة من افعالهم وهي سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ومن مجموع الادلة للانواع التي قبلها صلى الله عليه وآله وسلم لأنها في جنس المشروع وما رده صلى الله عليه وآله وسلم لأنه ليس من جنس المشروع أو فيه تشدد ورهبانية لم يرد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأمته الاخذ بها رفقا بهم أو لأنه يخالف نسا في الشريعة ليتضح تماما ما هي السنة وما هي البدعة فاليك اولا انواعا كثيرة مما قبله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من صحابته ولم يكن فعله هو بل ربما يرى أن فيه مخالفة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله وسلم ولكنه من المشروع .

الادلة التي توضح سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحدث

اعلم يا اخي هداانا الله واياك إلى الحق والصراط المستقيم
أن هناك احاديث جمة جلها في الصحيح أو من الصحيح تثبت أن عددا من الصحابة احدثوا
اعمالا واذكارا وادعية ونحو ذلك لم يسبق للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعلها أو الامر

بها ولكنهم فعلوها استنباطا واعتقادا انها من الخير الذي جاء به الاسلام ورسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم وحث على مثله عموما تحت مظلة قوله تعالى (**وافعلوا الخير لعلمكم نقلحون**) . وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (**من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من اجورهم شيء**) كما سبق .

وهذا الحديث وان ورد في الصدقة فإن القاعدة الاصولية المجمع عليها (أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وليس معنى ذلك أن لكل احد أن يشرع فإن الاسلام محدود القواعد والضوابط فلا بد أن يكون ما يسنه محفوظا بقواعده وضوابطه وشواهدة .

من هذا المنطلق .

فعل كثير من الصحابة باجتهاداتهم امورا فكانت سنة الرسول وطريقته قبول ما كان من العبادة والخير ويتفق مع المشروع ولا يخالفه ورد ما كان مخالفا لذلك .

فهذه سنته وطريقته التي سار عليها خلفاؤه وصحابته واقتبس منها العلماء رضوان الله عليهم قولهم أن ما يحدث يجب أن يعرض على قواعد الشريعة ونصوصها فما شهدت له الشريعة بالحسن فهو حسن مقبول وما شهدت له الشريعة بالمخالفة والقبح فهو المردود وهو البدعة المذمومة .

وقد يسمون الأول (بدعة حسنة) من حيث اللغة باعتباره محدث والا فهو في الواقع ليس ببدعة شرعية بل هو (سنة مستنبطة) ما دامت شواهد الشريعة تشهد لها بالقبول .

وعلى هذه البدعة اللغوية يحمل قول سيدنا عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح (نعمت البدعة) وانما انكر من انكر البدعة الحسنة لأخذ بظاهر الحديث وظاهر لفظ البدعة حتى لقد تجرأ بعضهم في الرد على الخليفة الراشد عمر فقال عند قوله (نعمت البدعة) .

قال ليس في البدعة حسن .

ولنترك هذا الان لنورد الشواهد التي اشرنا اليها من عمل الصحابة وتصرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معهم فمن شواهد القبول وهذا الفصل معقود لها :

1. الحديث الاول ما رواه البخاري ومسلم والامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام . فأني سمعت دف نعليك في الجنة ، قال ما عملت عملا أرجى عندي اني لم اتطهر طهورا في ساعة من ليل أو نهار الا صليت بذلك الطهور ما كتب لي . وفي حديث الترمذي وقال حسن صحيح قاله لبلال بم سبقتني إلى الجنة ؟ قال ما اذنت قط الا صليت ركعتين ، وما اصابني حدث قط الا توضأت ورأيت أن الله علي ركعتين . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها نلت - أي تلك المنزلة - ورواه الحاكم ، وقال صحيح على شرطهما واقره الذهبي .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح . يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة لأن بلالا توصل إلى ما ذكره بالاستتباب فصوبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومثل هذا حديث خباب في البخاري وفيه وهو اول من سن الصلاة لكل مقتول صبورا ركعتين فهذه الاحاديث صريحة في أن بلالا وخبابا اجتهدا في توقيت العبادة ولم يسبق من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم امرا ولا فعلا الا الطلب العام .

وان الصلاة خير موضوع فاقلل منها أو استكثر كما في الحديث فلو أن احدا اراد ايقاعها في الاوقات المنهي عن الصلاة فيها لكانت بدعة عند من يرى عموم النهي وغير بدعة عندما يرى تخصيص النهي بالنفل المطلق ومع أن الشافعية رحمهم الله يرون تخصيص النهي بغير المؤقت وذي السبب فانهم اختلفوا في سنة الوضوء فالامام الغزالي يمنع فعلها فيه ويقول يتوضأ ليصلي وليس يصلي لأنه توضأ فليست بذات سبب ولكل نهجه وفهمه واستدراكه رضوان الله عليهم اجمعين .

2. الحديث الثاني ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما في كتاب الصلاة في باب ربنا لك الحمد . عن رفاعة بن رافع قال كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأيه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراء ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه : فلما انصرف قال من المتكلم قال انا قال رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها .

قال الحافظ في الفتح يستدل به على جواز احداث ذكر في الصلاة غير مأثور اذا كان غير مخالف للمأثور وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش .

ومثله ما رواه الصنعائي عبد الرزاق في المصنف عن ابن عمر قال : **أن رجلا والناس في الصلاة. فقال حين وصل إلى الصف الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا . فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاته قال من صاحب الكلمات قال الرجل انا يا رسول الله . والله ما اردت بهن الا الخير . فقال : لقد رأيت ابواب السماء فتحت لهن . قال ابن عمر فما تركتهن منذ سمعتهن .** ورواه النسائي في باب القول الذي يفتتح به الصلاة الا انه قال لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا .

وفي رواية اخرى فيه قال عجبت لها وذكر كلمة معناها فتحت لها ابواب السماء وفيه قال ابن عمر ما تركته منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله .

والحديث في صحيح مسلم فانظر وفقنا الله واياك إلى الحق – كيف اقر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم زيادة ذكر لم يؤثر عنه في الاعتدال وزيادة ذكر لم يؤثر عنه في افتتاح الصلاة وقر فاعليها باعلا درجات الاقرار والرضاء ذلك لأن الموضوعين من مواضع الثناء على الله في الصلاة .

انظر هذا مع قول بعض المتحذلقين أن القنوت في صلاة الفجر بدعة مع أن اصله مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان شغبوا في حديث انس ومأثور عن بعض الصحابة .

وروى عبد الرزاق عن ابن جريح عن عطاء قال قلت له القنوت في ركعتي الجمعة قال لم اسمع بالقنوت في المكتوبة الا في الصبح وليس من غرضنا بحث موضوع القنوت وسنيته بل لنرى تشدهم في البدعة حتى في الدعاء في مواضع الدعاء في الصلاة فان هذه الاحاديث التي اشرنا اليها تبين أن ما كان من دعاء في موضع الدعاء في الصلاة من السنة وليس من البدعة في شيء لاقرار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة بذلك فهو من جنس المأثور وما كان كذلك فهو من السنة وان كان غير وارد بلفظه فكيف لو كان لفظه مأثورا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحله أيضا مأثورا في الصلاة .

وما يقال في القنوت يقال في الجهر بالبسملة مع ثبوته فان المشاغبة فيه لا نزال من هؤلاء المتحذلقين مع أن الواحد منهم يقرأ الفاتحة ولا يقرأ بالبسملة أو على الاقل لا يجهر بها فاذا

قرأ بعدها سورة جهر بالبسملة في اولها ياللعجب ليست الفاتحة سورة من سور القرآن
مصدره بالبسملة في اولها ويلتهم يعملون في انفسهم ولا ينكرون .

والمقصود أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اقر الصحابييين على احداث اذكار في
الصلاة لم تكن مأثورة عنه وهذا موضع الاستدلال كما سبق وانه كان اجتهادا واستنباطا
منهما .

3- الحديث الثالث ما رواه البخاري في باب الجمع بين السورتين في الركعة . من
كتاب الصلاة عن انس رضي الله عنه قال **كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد
قبا كقبا كلما قرأ افتتاح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتاح بقل هو الله احد
حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمة
اصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزئك حتى تقرأ باخرى فإما أن
تقرأ بها واما أن تدعها وتقرأ باخرى فقال ما انا بتاركها أن احببتم أن أوكمم فعلت
وان كرهتم تركتكم وكانوا يرون انه من افضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما اتاهم
النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخبروه الخبر فقال : يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما
يأمرك بها أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟**

**فقال اني احبها فقال النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " حبك اياها ادخلك الجنة -
صلى الله عليك يا رسول الله . واين من هديك هؤلاء المبدعة ؟**

قال الحافظ في الفتح .

قوله ما يمنعك وما يحملك سأله عن امرين فاجابه بقوله اني احبها وهو جواب عن
السؤال الثاني مستلزم للأول بانضمام شيء اخر اليه وهو اقامة السنة المعهودة في
الصلاة .

فالمانع مركب في المحبة والامر المعهود والحامل له على الفعل المحبة وحدها
ويوحي إلى أن في فعله زيادة على فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فدل تبشيره بالجنة على الرضاء بفعله قال ناصر الدين ابن المنير في هذا الحديث . "
أن المقاصد تغير احكام الفعل لأن الرجل لو قال : " أن الحامل له على اعادتها انه لم

يحفظ غيرها مثلا لا يمكن أن يأمره بحفظ غيرها لكنه اعتل بحبها فظهر صحة قصده
فصوبه" .

قال : وفيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس اليه والاستكثار منه
ولا يعد ذلك هجرانا لغيره ومع هذا التقرير من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
وتبشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة لم نجد من العلماء ولا من الصحابة
قبلهم من يقول بان فعله هذا سنة ثابتة ذلك لأن ما واظب عليه الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم هو الذي تتبغي المحافظة عليه ولكنه يعطينا الدليل على أن مثل هذا وان
كان في صورته مخالفة لفعل الرسول في الجملة فان الامر واسع لا كما يظن
المتقيقهون وما دام الفعل في اطار المشروع والمطلوب .

4- الحديث الرابع روى البخاري من كتاب التوحيد عن عائشة رضي الله عنها أن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في
صلاته فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه
وآله وسلم فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن
وانا احب أن اقر بها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخبروه أن الله يحبه
. ومثله في مسلم فالحديث متفق عليه . قال الحافظ في الفتح : " قال ابن دقيق
العيد هذا يدل على انه كان يقرأ بغيرها في كل ركعة وهذا هو الظاهر .
ويحتمل أن يكون المراد انه يختم بها اخر قراءته فيختص بالركعة الاخيرة
ا.هـ . أي وكلا الامرين لم يعهد فعله من رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ومع ذلك اقره باعلا درجات الاقرار وهو التبشير بحبة الله له أ . هـ

ومع كل هذا فلم نعلم أن احدا من العلماء قال باستحباب ذلك افتتاحا كالحديث السابق ولا
اختتاماً كما هنا لأن ما واظب عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الافضل ولكن
اقراره لمثل هذا يوضح سنته صلى الله عليه وآله وسلم في قبول ما كان مثل ذلك من اوجه
الطاعات والعبادات ولا يعتبر مثله حدثا مذموما كما يتسابق المتشددون إلى التبديع والتضليل
في أفعاله .

هذا وظاهر من سياق الحديثين (هذا والذي قبله) انهما قضيتان فحديث انس الاول فيه أن
الفاعل لتخصيص هذه السورة امام قومه في مسجد قباء وفي حديث عائشة كان امير سرية ،

وان هذا كان يختتم بقل هو الله احد وذاك كان يفتتح بها ، وهذا بشره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحب الله له وذاك بشره بالجنة فالتعدد فيهما واضح لا يحتمل الجمع ولا التأويل ..

والاحاديث التي مرت كلها في الصلاة كما ترى وهي اهم اعمال العبادات البدنية وفيها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " **صلوا كما رأيتموني اصلي** " ومع ذلك قبل هذه الاجتهادات لأنها لا تخرج عن الهيئة التي حددها الشارع . فكل حد لا بد من الالتزام به وما عدى ذلك فالامر متسع ما دام داخل في الاصل المطلوب ، هذه هي سنة الرسول وطريقته وهذا في غاية الوضوح ويؤخذ منها ما اصله العلماء أن كل عمل يشهد له الشرع من الطلب ولم يصادم نصا ولا تترتب عليه مفسده فليس داخل في حدود البدعة بل هو من السنة وان كان غيره افضل فالعبادات فيها الفضول وفيها الفاضل ولا يعاب ولا يبدع من استروح شيئا منها مادام الاصل عبادة ، والان نأتي على شيء من الاجتهادات التي اقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غير الصلاة لترى كيف اقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو :

5- الحديث الخامس : حديث الرقية . وقد رواه البخاري في اكثر من موضع من صحيحه وهذا نصه في باب النفث في الرقية (عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رهطا من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم فابوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم لو اتيتم هؤلاء الرهط الذي نزل بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا : يا ايها الرهط أن سيدنا لدغ فسعيننا له بكل شيء فهل عند احدا منكم شيء ؟ فقال بعضهم نعم والله اني لراق ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق فجعل تيفل ويقرأ الحمد رب العالمين حتى لكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي ما به قلبه فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا . وقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنذكر له الذي كان فننتظر ما يأمرنا به فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له فقال : وما يدريك انها رقية اصبتم اقسما واضربوا لي معكم بسهم . قال الحافظ في الفتح في كتاب الاجارة . قوله وما يدريك الخ هي كلمة تقال عند التعجب من الشيء وتستعمل في تعظيم الشيء ايضا وهو لائق هنا. زاد شعبه في روايته ولم يذكر نهيا أي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزاد سليمان بن قند في روايته بعد قوله وما يدريك انها رقية ؟ فقلت يا رسول الله بشيء ألقى في روعي اهـ.

وهذا صريح في أن الصحابي لم يكن باجتهاده ولما لم يكن فيه مخالفة للمشروع اقره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن هذه سنته وطريقته في اقرار ما كان من الخير ولا تترتب عليه مفسدة وان لم يكن من عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نسا - وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد اصبتم اقساموا واضربوا لي معكم بسهم كأنه اراد المبالغة في تأنيبهم كما قال الحافظ .

6. الحديث السادس : وقد وقعت للصحابة قصة اخرى في رجل مصاب في عقله فقراً عليه بعضهم فاتحة الكتاب فبرأ اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي من طريق خارجه بن الصلت عن عمه انه مر بقوم وعندهم رجل مجنون موثق في الحديد فقالوا انك جئت من عند هذا الرجل بخير فارق لنا هذا الرجال فرقاه بها ذكر ذلك الحافظ في الفتح .

7. الحديث السابع : عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ على مبتلي في اذنه فافاق فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما قرأت قال : افحسبتم انما خلقناكم عبثاً إلى آخر السورة فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو أن رجلاً مؤمناً قرأ بها على جبل لزال . قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد رواه ابو يعلى وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ومثله في المطالب العالية للحافظ ابن حجر

وفي الحديث تقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود في قراءته الآيات من آخر سورة المؤمنين على المبتلي ولم يكن قد سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو شيء استنبطه باجتهاده ولما كان من الخير الذي لا يعارض المشروع اقره كصاحب الرقية بالفاتحة عند البخاري والتي عند اصحاب السنن وهما قضيتان احدهما لسعيد الخدري والثانية لعمه خارجه ابن عبد الصلت وهذه الثالثة لابن مسعود وهناك رابعة عند ابن حبان لعلاقة ابن حجار وهي الحديث الثامن .

8. الحديث الثامن : اخرج ابن حبان في صحيحه عن علاقة بن حجار السليطي التميمي انه اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم اقبل راجعا من عنده فمر على قوم عندهم رجل موثق بالحديد فقال اهله انه قد حدثنا أن صاحبكم قد جاء بخير فهل عندك شيء ترقيه ؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ فأعطوني مائة شاه فاتيت النبي صلى الله عليه وآله

وسلم فقال خذها فلعمري لمن اكل برقيه باطل فقد اكلته برقية حق ا هـ من موارد
الظمان من زوائد ابن حبان للهيثمي .

9. الحديث التاسع : في البخاري في فضائل قل هو الله احد عن ابي سعيد الخدري أن
رجلا سمع رجلا يقرأ بقل هو الله احد يرددتها فلما اصبح جاء إلى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فذكر له ذلك وكان الرجل يتقالها فقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي
نفسى بيده انها لتعدل ثلث القرآن .

قال الحافظ في الفتح هو قتاده بن النعمان اخرجه احمد بن طريف ابن الهيثم عن ابي سعيد قال
بات قتادة بن النعمان يقرأ من الليل كله قل هو الله احد لا يزيد عليها والذي سمعه لعل اخوه
لامه ابو سعيد وكانا متجاورين وبذلك جزم ابن عبد البر . وقد خرج الدار قطنى من طريق
اسحاق بن الطباع عن مالك في هذا الحديث بلفظ أن لي جارا يقوم بالليل فما يقرأ إلا بقل هو
الله احد ا هـ .

وفي الحديث اقرار الرسول صلى الله عليه وسلم له على هذا التخصيص والاقتصار على هذه
السورة في قيام الليل مع ما فيه من التخصيص الذي لم يكن من عمله " صلى الله عليه وآله
وسلم " وفيه ما في سابقه برقم 3 و 4 من الدلالة على جواز تخصيص بعض القرآن بميل
النفس اليه والاستكثار منه ولا يعد ذلك هجرانا لغيره ومع كل هذا فلم نجد من العلماء من قال
بافضلية قيام الليل بها وحدها لأن ما كان عليه عمل الرسول من القراءة بالقرآن كله افضل من
ذلك ولكن عمله وما يشبهه داخل في نطاق السنة وليس فيه ما يذم بل هو محمود على كل
حال وفيه رد على المبدعين كالأحاديث السابقة والتي ستأتي .

10- الحديث العاشر : روى اصحاب السنن واحمد وابن جنان في صحيحه عن ابي بريده
عن ابيه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فاذا رجل يصلي يدعو :
اللهم اني اسألك بأني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد) فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي بيده لقد سألت الله باسمه الاعظم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعى به اجاب ا هـ .

وهذا دعاء انشأه الصحابي فيما يظهر ولما كان مطابقا للمطلوب اقره صلى الله عليه وآله
وسلم بأعلا درجات الاقرار والرضاء ولم يعلم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علمه اياه
فنصوص الشريعة فيها العالم المخصوص ، والعام الذي اريد به الخصوص وفيها الحقيقة

والمجاز ومما يجب أن يصار إليه عند التعارض إلى غير ذلك من القواعد الاصولية حتى قالوا : (ما من عام الا وخصص) ولا يمنع وجود (كل) من التخصيص كما سنراه في آيات الكتاب الكريم .

هذه القواعد لو عرفها المبدعون لما اطلقوا السنتهم بالتبديع على أي من انواع الخير ولما اطلقوا لأقلامهم العنان في اتهام الائمة الاعلام مما لا يقبل اقل منه من الجهاذة فضلا عن الاقزام المتطفلين على موائد العلم المتعاملين وهم بالجهل موصوفون انظر كيف يقولون عن الائمة : (انهم بتقسيم البدعة فتحوا للبدع والمحدثات الابواب على مصاريحها) ص 58 .

وحاشاهم لأنهم افهم بكلام الله ورسوله من غيرهم واخشى الله واطوع له ومع هذا الاتهام الخطير فالمنقول عن الامام الشافعي انه قال (البدعة بدعتان محمودة ومذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم) فهل الشافعي معني بهذه التهمة الشنيعة وهذا عمر بن الخطاب الخليفة الثاني رضي الله عنه بقوله (نعمت البدعة)

ويؤثر مثل ذلك عن ابن عمر فهل هما مشاقتان لله ورسوله لأنه يلزم من قولهما أن في البدعة محمود ومذموم وهناك جمهور من العلماء قرروا هذا التقسيم منهم النووي وابن عبد السلام والقرافي وابن العربي وخاتمة الحفاظ ابن حجر فهل هؤلاء كلهم لا يفهمون كلام الله وكلام الرسول ؟

استغفر الله العظيم من هذا الافك لماذا كل هذا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (**وكل بدعة ضلالة**) وهذه الكلية تقتضي عندهم شمول الضلالة لكل محدث والمؤلف لا يعرف قواعد الاصول ، وان في كلام الله، وكلام رسوله كثير من الكليات والعمومات من العام المخصوص أو العام الذي اريد به المخصوص .

ومع كل هذا فان لهم تقسيما اخر : البدعة المكفرة . والبدعة المحرمة والبدعة المكروهة تحريما والبدعة المكروهة تنزيها لم يدخل الحكم الخامس وهو البدعة المباحة لأنهم يرون أن البدع مخصوصة بالعبادة فهم يقسمونها إلى دينية ودنيوية وكأن المباح ليس من احكام الدين وكأن البدع الذي تكون في غير العبادات لا يشملها الحديث – وهذا ايضا تخصيص منهم لهذه

الكلية التي يرفضون أن يقبل فيها تخصيص -والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول (من **أحدث في امرنا ما ليس منه فهو رد**) وفي رواية في ديننا .

وشرع الله ودينه شامل لكل تصرفات المسلم عباداته ومعاملاته واحكامه واقضيته وانكحته ومواريثه وكل اعماله كلها تدخلها البدع المحرمة ومن اخطر هذه البدع العقائد التي خرجت بها طوائف من الدين . وبدع الحكم واطرها الخروج عن شريعة الله وهذه البدعة التي تؤول إلى الكفر قد شملت معظم البلاد الاسلامية التي عمل لها اعداء الاسلام والمستشرقين واذنابهم حتى اخرجوا المسلمين عن شريعتهم وعقيدتهم واضطروهم إلى التحاكم إلى الطاغوت التي يسمونها القانون .

والعجيب والغريب أن الذين يعملون على اثاره الخلافات في المسائل الفرعية وبيدعون فيها من يخالفهم لا نجد لهم صوتا ولا حرفا في المسائل الكبرى التي وقع فيها المسلمون في كل بلد مع أن العمل فيه فرض عين في هذه الازمان مما يضع عليهم علامة استفهام ذلك لأن اثاره المسائل الخلافية في الفروع وفي هذا الزمن بالذات وهي المسائل التي وسعت المسلمين واصحاب المذاهب منذ القدم فان اثارها في هذا الزمن يفرق ولا يجمع مما يساعد على التناحر والتنافر والتراشق بالتهم والتبديع والتضليل ولا مصلحة للمسلمين في ذلك .

والعمومات في الكتاب والسنة كثيرة وكلها دخلها التخصيص أو كانت من العام الذي اريد به الخصوص كقوله تعالى " **تدمر كل شيء بأذن ربها** " وبالتأكيد فهي لم تدمر الارض كلها ولا الكواكب .

وكقوله تعالى (**وان ليس للانسان الا ما سعى**) مع أن هناك من الادلة ما يبلغ التواتر في أن المسلم ينتقع بعمل غيره من اخوانه المسلمين ودعاء الملائكة كما يقرر ذلك شيخ الاسلام بن تيمية وذكر اكثر من عشرين موضعا بدلائلها اولها صلاة الجنابة والصدقة عن الميت ثم دعاء المؤمنين .

وفي العموم الذي اريد به الخصوص قوله صلى الله عليه وآله وسلم (**في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام**) والحديث في البخاري .

وقد اجمع الشراح انه ليس على عمومه مع أن فيه الكلية (كل) .

ومن ذلك حديث مسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (**لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**) وهو من صيغ العموم قطعا ليس على عمومه فان من صلى هاتين الصلاتين الفجر والعصر وترك ما عدهما من الصلوات والواجبات ليس مرادا قطعا فهو من العام الذي اريد به الخصوص أو من العام المخصوص بالخصوص .

(قال الطيبي كما نقله عنه الحافظ ابن حجر واقره : أن الأحاديث اذا ثبتت وجب ضم بعضها إلى بعض فانها في حكم الحديث الواحد فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها : ومن العام الذي اريد به الخصوص قوله تعالى : (**الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم**) فان المراد بالناس في الاول المخبرين وهم لا شك عدد محدود والناس (الثاني) هم ابو سفيان وجماعته من مشركي مكة الذين قاتلوا الرسول والمسلمين في احد وليس هم كل الناس .

كذلك قوله تعالى : " **انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** " - واسم الموصول من صيغ العموم ولكن مما لا شك فيه أن عيسى عليه السلام وامه والملائكة وكلهم عبدوا من دون الله غير مرادين في الآية فهو من العام الذي اريد به الخصوص .

وكقوله تعالى: (**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء**) مع أن ابواب الرحمة لم تفتح عليهم " .

ومن ذلك قوله تعالى لنبيه : " **وشاورهم في الأمر** " .

فمن المعلوم انه لا يشاورهم في التشريع والاحكام فعن ابن عباس رضي الله عنهما (**وشاورهم في الأمر**) أي في بعض الامر وهو تفسيره لا تلاوة ..

فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على امر لم يكن لبشر أن يتقدم على الله ورسوله كذلك قوله تعالى : " **لتجزى كل نفس بما تسعى** " وفي الكتاب العزيز والسنة النبوية من هذه العمومات المخصوصة أو التي يراد بها الخصوص شيء كثير يتسع لها مجلد كامل للمنتبِع فكيف ينكر على جمهور من العلماء الراسخين قولهم في هذا الحديث " **كل بدعة ضلالة** " انه منالعام المخصوص أو الذي اريد به الخصوص واعتبرهم المؤلف - سامحه الله لذلك من المشاقين لله ورسوله والمحادين لهما وحاشاهم .

قال النووي على قوله صلى الله عليه وآله وسلم " **وكل بدعة ضلالة** " هذا عام مخصوص المراد به المحدثات التي ليس في الشريعة ما يشهد لها بالصحة فهي المرادة بالبدع .

وقال الحافظ ابو بكر ابن العربي في شرحه على سنن الترمذي: (السابعة قوله : **واياكم ومحدثات الامور** . اعلّموا علمكم الله أن المحدث على قسمين : محدثات ليس له اصل الا الشهوة والعمل بمقتضى الارادة فهذا باطل قطعاً (أي) وهو البدعة الضلالة . ومحدث يحمل النظر على النظر فهذه سنة الخلفاء والائمة الفضلاء . قال وليس المحدث والبدعة مذمومان للنظر (محدث وبدعة) ولا لمعناهما فقد قال الله تعالى : (**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث**) وقال عمر (نعمت البدعة) وانما يذم من البدعة ما خالف السنة ويذم من المحدث ما دعا إلى ضلالة .

وهذا هو عين ما سبق اليه الامام الشافعي رحمة الله وقرره في تقسيم المحدث إلى محمود ومذموم وهكذا نجد الائمة الذين جاؤوا بعد الشافعي مثل سلطان العلماء العز ابن عبد السلام من الشافعية والامام النووي وابن الاثير من الشافعية وابن العربي والقرافي من المالكية وغيرهم كثير آخرهم الحافظ ابن حجر العسقلاني كلهم اقرؤا تقسيم المحدث إلى محمود ومذموم وانه قد تعتريه الاحكام الخمسة بحسب الاصل الذي يبني عليه والشواهد التي تشهد له أو عليه أو لما يترتب عليه من المصالح أو المفساد أو مصادمة الشرع أو موافقته وهذا لا محيص من القول به لمن عرف السنة وقواعدها من الاصول والفقهاء وهذا لا يتم الا لمن كان له الباع الطولي والفقهاء الصحيح والفهم العميق للشريعة ومقاصدها .

وليس ذلك لكل مدع متناول لا يعرف الا طرفا من العلم اذا وجد نصا تمسك به ضاربا عرض الحائط بكل ما عداه من نصوص وقواعد ومفاهيم وتقاريرات اولى العلم وما اثر عن الصحابة ومن بعدهم اما جهلا أو تجاهلا ظانا أن ذلك هو الصواب وكل ما عداه خطأ محاده لله ورسوله كالمؤلف سامحه الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . اذ يقول (**من ريد الله به خيرا يفقهه في الدين**) ومفهوم الحديث واضح أن من لم يرد به خيرا لم يفقهه في الدين فيقع في الجهل المركب فيجهل العلماء ومعلوم أن الفقه في الدين يسوق إلى النظر الفاحص وتتبع النصوص وحمل بعضها على بعض واعمال كلام وكلام رسوله ما امكن وحمل اعمال علماء المسلمين واقوالهم على الخير ما وجد لذلك محملا اذ هو من باب حسن الظن بالمسلمين المأمور به بل هو من اوثق عرى الايمان كما في الحديث ثم مع تتبع الادلة عليه أن يتعرف كلام العلماء الراسخين وهم الاكثرون علما والذين هم اعظم فهما وورعا وتعليقهم على هذه الادلة وما لهم فيها من جمع أو تأويل ثم ما جاء عن الصحابة الكرام قولاً

أو عملا بما يفسر مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم اعرف بمراده وقصده ممن جاء بعدهم هكذا كان علماء الدين رضي الله عنهم اجمعين ولهذا لن تجد فيما قرروه أو استحبه استنباطا ما يخالف نوايا المعارض ولا ظاهرا الا بتأويل مقبول ولا تجد بينهم من يبدع مخالفه أو يضلله لعلمه بان له متمسكا ومستدلا بما يصلح له ترجيحه وان عارض ترجيح غيره ولهذا لا تجد عندهم اطلاق التبديع الا على الفرق المنحرفة في العقائد دون تكفير لهم ما داموا يشهدون أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة الا من جحد معلوما من الدين ضرورة فهذا الذي اعلنوا كفره اذ لا سبيل إلى التأويل .

واما التبديع والتضليل للفرق المنحرفة في العقائد (كالباطنية والقدرية والخوارج) فهم الذين اجمع اهل السنة على تبديعهم وتضليلهم لتوافر النصوص وتظاهرها عليهم فالخوارج اول الفرق التي ظهرت بدعتها وتشددوا في مسلكهم حتى كفروا امير المؤمنين عليا والصحابة الذين معه اخذوا بالظواهر والعمومات التي نزلت في المشركين واشاعوا القول بالتكفير للمخالفين لهم في العقيدة واستباحوا دماءهم واموالهم ..

اخرج ابن مردويه عن مصعب ابن سعد قال نظر رجل من الخوارج إلى سعد يعني ابن ابي وقاص رضي الله عنه فقال هذا من ائمة الكفر فقال سعد كذبت انا قاتلت ائمة الكفر فقال اخر منهم هذا من الاخسرين اعمالا فقال سعد كذبت اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه الاية .

ذكره الحافظ في الفتح

وروى الطبراني في الكبير والاوسط قال غزا عمارة بن قرظ غزاة . فمكث فيها ما شاء الله ثم رجع حتى اذا كان قريبا من الاهواز سمع صوت اذان فقال واله ما لي عهد بصلاة جماعة من المسلمين منذ ثلاث وقصد نحو الاذان يريد الصلاة فاذا هو بالازارقة (قوم من الخوارج) . فقالوا ما جاء بك يا عدو الله فقال : ما انتم اخواني ؟ قالوا انت اخو الشيطان لنقتلك قال اما ترضون مني بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا أي شيء رضى به منك قال اتيته وانا كافر فشهدت أن لا اله الا الله وانه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فخلني عني قال فاخذوه فقتلوه

قال في مجمع الزوائد اسناده رجال الصحيح

هذه البدعة الضلالة وهذا ما وقع ويقع من اتباعهم في كل عصر وهم انما اوتوا من حيث اغتارهم بأنفسهم واخذهم بظواهر الايات والاحاديث فهم لا يرون الحق الا يستمعون الا من

كان منهم وعلى شاكلتهم وينظرون إلى جمهور الامة بالمنظار الاسود فاما مبتدعة أو مشركون خارجون عن الاسلام والمقصود أن واجب المسلم أن يحسن الظن بالمسلمين فضلا عن علماء الامة

لأن اثاره المسائل الفرعية التي اختلف العلماء فيها بطريقة تسيء الظن بهؤلاء المجتهدين أو تشي بشيء من ذلك فيه هدم للدين وتفارقة للأمة التي وسعها اختلاف الائمة في الفروع منذ عصورها الاولى دون أن يفرق بينهم في العقيدة والاحترام والتضامن والتعاطف وكلهم متدينون غيورون على الدين لا كما يظن المتفهبون في هذا العصر الذين يدعون الاجتهاد في مسائل الدين وهم اجهل الناس به وليس لديهم من ادوات الاجتهاد شيء الا مجرد الدعوى بل هم مقلدون لأناس مشبوهين طلوعوا على الامة بأراء ينقدون فيها اجتهادات الائمة الذين شهدت لهم الامة بالعلم والفقه والورع في الدين كان لهم في الامة كما يقول العلامة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله لسان صدق .

انظر كلامه في كتابه (جواب اهل العلم) في معرض الرد على بعض المبتدعة في بعض الاقوال التي ينتحلها قال رحمه الله (والمقصود أن هذين القولين لا يقدر احد أن يقتل واحدا منها عن احد من السلف اعني الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر ائمة المسلمين المشهورين بالعلم والورع في الدين الذين لهم في الامة لسان صدق في زمن احمد بن حنبل ولا زمن الشافعي ولا زمن ابي حنيفة ولا قبلهم) ا هـ

وصدق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لا يقلدون احدكم دينه رجلا فان آمن آمن وان كفر كفر وان كنتم ولا بد مقتدين فافتدوا بالميت دون الحي فان الحي لا يؤمن عليه الفتنة ا هـ

والمقصود تحذير الشاب المسلم من القول على الله ورسوله بما لا يبلغ فيه درجة الفهم التام والاحاطة حتى لا يسلك مسالك الخوارج الذين ضللو خيار الامة بأرائهم واهوائهم واعتمادهم على عمومات الكتاب ولم يكن عندهم من العلم غير هذه الظواهر التي كثيرا ما يقع صاحبها في الخطأ فان كان ولا بد فلنفسه .

فلا يجوز أن يطلق لسانه بالتبديع والتضليل لعلماء الامة ولا لاتباعهم ما لم تكن المسألة متفق عليها بين العلماء لأن مسالك العلماء في فهم البدعة مختلفة اختلافا كثيرا فمنهم من يعمم والتعميم فيه خطر لأنه قد يوقع الصحابة وخيار الامة من التابعين ومن بعدهم فيه ومنهم من قسم وخصص تحرجا من الوقوع في مثل ذلك وبعض المقسمين قالوا بدعة حقيقة وبدعة اضافية إلى اخر التقسيمات التي قد تشير إلى شيء منها فيما بعد وكل له مأخذه فعند الاختلاف

لا يسع العاقل الحريص على دينه الا أن يحكي اقوال العلماء والوقوف عند الحد الذي حده له الشارع وليعتبر بالخوارج واضرابهم فقد ضلوا بنص الاحاديث الصحيحة لاعتقادهم الحق فيما يعتقدونه ولم يكتفوا بذلك بل ضلوا من خالفهم من الصحابة ومن بعدهم ممن لا يرى رأيهم ولهذا ذمهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحكم بانهم مارقون من الدين مع انهم اكثر الناس تمسكا بالدين ظاهرا وتشددا في العبادة ولكنهم اوتوا من حيث غرورهم بأنفسهم ورميهم مخالفهم بالضلال .

روى الامامان البخاري والمسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أن بعدي من امتي قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حلقيمهم يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرقبة لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد) .

وقال البخاري كان ابن عمر يراهم شر خلق الله وقال انهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين .

علقه البخاري وقال الحافظ في الفتح وصله الطبري في تهذيب الاثار باسناد صحيح ا هـ .

واخرج ابو يعلي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما اخافه عليكم رجل قرأ القرآن حتى اذا رؤيت بهجته علمي وكان رداؤه الاسلام انفسخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى إلى جاره بالسيف ورماه بالشرك قال قلت يا نبي الله ايهما اولى بالشرك المرمي أو الرامي (قال : الرامي قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد .

واخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله (من قال لآخيه يا كافر فقد باء بها احدهما فان كان كما قال والا رجعت عليه) .

واخرجا عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (من دعى رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك الا حار عليه - أي رجع عليه) .

وقد روى الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن عمر باسناد حسن : (كفوا عن أهل لا اله إلا الله) لا تكفروهم بذنوب (وفي رواية) ولا تخرجوهم من الاسلام بعمل .

ومثل الكفر والشرك وعدوا الله . (اللعن) كما في الحديث وكذلك التبديع والتضليل فانهما قرينا الكفر والشرك والسبب الاعمى في جميع ما سبق في الخوارج ومن نحا نحوهم في

التبديع والتضليل هو الغلو في الدين وعدم الفقه والتفقه في مقاصد الشريعة مع الاعجاب بالنفس ودعوى الاحاطة بالشريعة حتى لا ترى الحق الا فيما تعتقد هذه ولا تعتد بآراء العلماء وافهامهم ولا تعبا بمخالفتهم وهذه هي الروح الخارجية الممقونة التي ركز الشارع عليها ذمهم التي ركز الشارع عليها ذمهم وهي اعجابهم بأنفسهم واحتقارهم من عداهم حتى اداهم ذلك إلى اطلاق التكفير والتضليل ثم استحلال دمائهم المعصومة

فهي لا تحاول مطلقا فرض المخارج الحسنة الممكنة التي هي من روح الاسلام والتي ربي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليها صحابته الكرام في تحمل الخلاف في الرأي دون أن يفرق كلمتهم أو يسيء بعضهم إلى بعض رضي الله عنهم واخذ العلماء عنهم هذا الخلق الحسن فكانوا يحترمون الفهم في الكتاب والسنة وان خالف افهامهم فيحكونه امانة

اخرج ابو القاسم الاصبهاني في (الترغيب والترهيب) والخطيب في (المتفق والمفترق) عن سعيد بن المسيب قال أن عمر رضي الله عنه وضع عشر كلمات حكم منها أن تضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك ولا تظن بكلمة خرجت من اخيك المسلم سوءا وانت تجد لها في الخير محملا هـ

فنسأل الله العلي القدير أن يجنب شبابنا وطلاب العلم منهم بالخصوص هذه الروح الخبيثة ويهديهم سواء السبيل حتى يعرفوا دينهم ويعتزوا برجالهم وعلماء الامة الذي نقلوا اليها هذا الدين واجهدوا انفسهم واعمارهم ليصل اليها ثروة عظيمة تعتز بها الامة الاسلامية وتراثا ضخما لا يوجد في الدنيا له مثيل فقها ونقلا ونقدا وتمحيصا وتقعيدا أو حسبنا الله ونعم الوكيل وهنا نعود لما بدأناه من تحقيق السنة والبدعة لنرى أن تقسيم العلماء رضوان الله عليهم لم يكن من فراغ ولم يكن لمجرد الهوى والشهوة فضلا عن المشاققة لله ورسوله وحاشاهم ..

وقد كان الامام الحسن البنا رحمه الله يحذر اتباعه من الانشغال بمحاربة البدع الاضافية لأن في محاربة المنكرات التي لا خلاف بين العلماء في حدث منها وضررهم على الدين وما اكثرهم واطرهم بين المسلمين ومراده بالبدع الاضافية ما اندرج تحت اصل عام في الطلب وكان صورته غير مأثورة كسائر المسائل المستتبطة والمختلف فيها بين الفقهاء وهذا منه ادراك لخطورة البدع الحقيقية وخطورة السكوت عنها والانشغال بغيرها .

اما الخلافات المذهبية فهي امر ضروري والاجماع على امر فرعي متعذر : (فعلينا أن نعتقد الحق فيما بلغنا ونلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ولا يكون حائلا بين ترابط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير)

وكلامه هذا من جملة التقسيم التي جاءت إليها النصوص كما سترى ولما كان الكتاب الذي اشترت إليه ليس فيه تععيد فاني اثرت قبل تتبع الرد على مواضع الخطأ أن اقدم بحثا عن السنة والبدعة فاذا عرفت السنة عرفت البدعة المضادة لها وان آتى في القسم الاول بالادلة التي تثبت أن سنة الرسول هي طريقته وان طريقته الواضحة بالنصوص المتكاثرة هي قبول كلما ما كان من الخير الذي جاء به ولم يصادم نصا ولم يخالف هدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو من السنة وان لم يسبق أن الرسول فعله بذاته أو امر به وان البدعة هي ما صادم نصا أو خالف هدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو ترتبت عليه مفسده وهذا هو معنى قول علمائنا أن البدعة المضلة الواردة في الحديث الشريف هي المنافية لامر الشرع والتي ليست هي مما طلبه الشرع بدليل خاص أو عام .

وان كلما كان من الشرع وشهد له بالطلب دليل خاص أو عام فليس هو بالبدعة الشرعية المرادة في الحديث وان سمي بدعة باعتباره اللغوي الشاملة للحسن والقبیح .

ولقد تتبعت ما كتبه المخالفون عن البدعة . فاذا علمهم كله محصور في حديث واحد وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم " كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " ورمي كل احاديث الرسول صلوات الله وآله - الدالة على حيازة كل خير والتي يستفاد منها حكم جميع الحوادث فعند هؤلاء كل شيء حدث بعد عهد الرسول وان كان من الخير ومن الامور الدينية الموافقة لدين الله وتشملها اوامر الله .

(فالاستكثار من الخير خير) .

فعند هؤلاء هو بدعة ضلالة .

وهذا علم لا يحتاج إلى جهد كبير ، ولكنه تضخم في نفوسهم ، وان هذا الحديث يجب أن يعرض على نصوص الادلة الاخرى لأنه عام وقد عارضه في عمومه ادلة خاصة وعامة فاقول :

أولا : أن هذا الحديث عام اريد به الخصوص لأنه يخالف حوافز النصوص التي تدل على النظر في حكم الحادثة واستتباط الاحكام واستخراجها من الكتاب والسنة وهما يستوعبان كل احكام الحوادث بواسطة دخولها في مضامين الكلام منظوقا أو مفهوما أو عموما أو خصوصا أو نصا أو ظاهرا أو غير ذلك .

ثانيا : وقد عهد العموم الذي اريد به الخصوص في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ألا ترى إلى قوله تعالى : " **فتحنا عليهم ابواب كل شيء**" ولم يفتح لهم ابواب الرحمة ، وقوله تعالى " **تدمر كل شيء**" ولم تدمر الجبال والسموات والارض . وقوله تعالى " **واوتيت من كل شيء**" ولم تؤت عرش سليمان .

قال الامام القرطبي في تفسيره في الكلام على الفطرة التي فطر الله الناس عليها من سورة الروم قال (والعموم بمعنى الخصوص كثير في لسان العرب) ثم ذكر ما قدمناه .

وقد ارسل النبي سرية بأمانة بعض اصحابه وامر اصحابه بالسمع والطاعة له فغضب فأجج نارا وامرهم بدخولها بما امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بالسمع والطاعة ، فقالوا انما امنا وجاهدنا خوفا من النار فلما رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخبروه فقال لو دخلوها ما خرجوا منها انما الطاعة في المعروف وقد اخرج هذه القصة مسلم في صحيحه فلينظر لفظه .

ومنه يعلم أن بعض العام يراد به الخصوص بحسب المعروف المعلوم بالعقل أو الشرع وفي هذا الحديث نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عموما طاعته في هذا غير مراد ، وفي البخاري والموطأ . (**كل بني آدم يأكله التراب الا عجب الذنب**) قال ابن عبد البر في التمهيد .

ظاهر هذا الحديث وعمومه يوجب أن يكون بنو آدم كلهم في ذلك سواء الا انه قد روي أن اجساد الانبياء والشهداء لا يأكلها .

وهذا يدل على أن هذا اللفظ عموم يدخله الخصوص من الوجوه التي ذكرناها فكأنه قال كل ما تأكله الارض فانه لا تأكل منه عجب الذنب واذا جاز أن لا تأكل عجب الذنب جاز أن لا تأكل اجساد الانبياء والشهداء .

وحرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهجر فوق ثلاثة ايام مع انه صلى الله عليه وآله وسلم هجر الثلاثة الذين تأخروا عن تبوك وامر المؤمنين باعتزالهم وكذلك بعض الصحابة هجروا اناسا كما كان من علي مع اسامة رضي الله عنهما فالحديث مخصص .

وقد جاء تخصيص العموم في عشرات الايات في كتابه الله حتى قيل (ما من عام الا خصص) وقال جماعة من العلماء (لا يعمل بالعام الا بعد البحث عما يخصه) .

ثالثا : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤيد فيما يحدث ما يوافق شريعته وينكر ما ليس موافقا لها فهذا عمر يقترح أن يتخذ مقام ابراهيم مصلى وان يحجب امهات المؤمنين قائلا : انه يدخل عليك البر والفاجر فانزل الله في موافقته القرآن لأنه اقترح ما هو اعظم المصالح الدينية . انظر هذا فقد اقره لما فيه من الخير .

ولكن معاذ لما جاء من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ظانا أن ذلك من الخير اقتداء بما رآه في الشام من تعظيم اهل الكتاب لرهبانهم وقديسيهم فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعظم لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يسجد لاحد غير الله. وذلك لأن السجود غير موافق لشريعته الحنيفية فأنها مباينة لغلو اهل الكتاب في تقديسهم لأخبارهم ورهبانهم بالسجود لهم وجعل قبورهم مساجد فحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلوك طريقتهم ..

واجاز اقتراح عمر لما فيه من المصلحة وعدم الفساد وانظر الاذان فانه ألفاظ معدودة لا تزيد ولا تنقص ومع ذلك لما جاءت الحاجة بسبب المطر إلى النداء فيه امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنداء (الا صلوا في رحالكم) وهذا يدل على أن الحكم يدور مع المصلحة والحاجة. واحكام الشريعة تارة تنقل مع العلة وتارة مع عدمها وقد يعرف العلة الصحابي منها في بساط الكلام مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قالوا أن فيهم راوي الحديث يقدم على غيره كما يقدم تفسير الصحابي على غيره .

رابعا : قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه بارك فعل اشياء كثيرة من الخير ليس فيها مفسدة ولا تخاف طريقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نظام شريعته ثم ثبت عن الصحابة

ما يقرب من التواتر المعنوي ذلك كثيرا من الخيرات بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . مما تدخل تحت ارشاده وهديه وان لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تفعل في عهده .

فهذا يدل على انهم يخصون البدعة الضلالة بالبدعة المخالفة للشرع عقيدة أو عملا فمن اخذ بعمومات الشريعة في فعل الخير وان لم يرد بعينه كقوله تعالى " : **وافعلوا الخير** " .

ولعموم الحث على الاعمال الصالحة وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (**الصلاة خير موضوع**) ثم لم يخالف نظام الشريعة في اداء هذا الخير فقد قام باعظم القرب .

وقد اخطأ بعض المتحذلقين في انكاره على الامام زين العابدين علي بن الحسين سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن هذا الامام كان له اوراد كبيرة من فعل الصلوات قال هذا المنكران هذا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان عمله ماشيا على ما كان عليه السلف وفي مقدمتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الاستكثار من عمل الطاعات

ففي البخاري عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (**من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشي احب مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني اعطيته ولئن استعاذني لاعيذته**) ا هـ .

وفي حديث اخر (**عليك بكثرة السجود فانك لن تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**) . نقله في رياض الصالحين ، فكيف ينكر عليه ذلك .

وهذا معاذ بن جبل .. قال هلال بن الاسود : كنا نمشي مع معاذ قال : اجلسوا نؤمن ساعة .. وقد اخرج ابن ابي شيبة من طريق جامع بن شداد عن الاسود بن هلال باسنادين رجالهما ثقات أئمة واخرجه عن عمرو عن علقمة التابع .

وهذا معاذ اعرف الناس بالحلال والحرام بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمر الخليفة الراشد وهما يعلان هذا الخير ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن الامام احمد روى باسناد حسن قال كان ابن رواحة اذا لقي الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول : (**تعال نؤمن ساعة فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . قال يا رسول الله الاترى إلى ابن رواحة يرغب عن ايمانك إلى ايمان ساعة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة**) وقد علقه البخاري .

وهذا عمر حكم في سواد العراق بعدم قسمته وابقاه لجميع المسلمين اولهم واخرهم فان قيل هذا في غير العبادات .

قلنا قد خصصتم عموم هذا الحديث اعني (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وهؤلاء الانصار الذين تبيؤوا الدار والايمان كانوا يجتمعون لقراءة القرآن ولم يعهد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجمع الناس لقراءة القرآن .

ولكن اخذوا ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ما اجتمع قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة) الحديث وهو في صحيح مسلم .

خامسا : وقد امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بما هو عليه واصحابه أي ومن اتبعهم على طريقته يدل عليه الحديث الذي يشيد بالعمل على سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعدهم أي طريقتهم وهي طريقة الخلفاء الراشدين وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن وعمر بن عبد الله العزيز وكل خليفة راشد اخرهم المهدي ويمكن أن يشمل خلفاءه في الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء الذين يسيرون على نهجه بحديث (العلماء ورثة الأنبياء) وبتفسير اولى الامر بالعلماء الذين يستنبطون الاحكام كما في الاية .

قال ابن مسعود : (أن الله اختار محمدا واختار له اصحابه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) اخرجه احمد في مسنده .

وقد اخطأ من نفى ذلك وهو حديث حسن وهذا ما يجعل لأقوالهم جلاله واحتراما فلا يقال فيما يفعلونه من الخبر الذي له اندراج تحت اصل عام انه بدعة ضلالة الا أن ما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو السنة .

سادسا : قد يفهم مما تقدم أن كل من احدث عبادة في غير محلها الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون ذلك جائزا وليس كذلك بل هو بدعة سيئة.

فقد احدث بنو امية بالهوى ولاغراض سياسية تقديم خطبة العيد على صلاتها فخالفوا النظام الذي رتبته النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا العمل وامثاله لا يدخل في الخير والاعمال الصالحة بخلاف الصلاة قبل صلاة العيد وبعدها وان لم يفعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكنه في اصل عام (والصلاة خير موضوع) في أي وقت لا تكون الصلاة فيه مكروهة الا أن السنة أن لا يصلي قبلها ولا بعدها والعمل بالسنة اولى) ا . هـ من مخطوط السيد عبد الله الحداد نفع الله تعالى به .

رأي وجيه في شذوذ (الشاطبي) عن الجمهور في تقسيم البدعة :

(أقول) : وحيث انه طالما تذرع المخالفون لجمهور اهل السنة والجماعة في مفهوم وتقسيم البدعة بأراء الشاطبي صاحب (الاعتصام) وتترسوا بها لرد اراء الجمهور في هذه المسألة ، احببت أن اورد رأيا وجيها للمحدث الشيخ عبد الله محمد الصديق حيث يقول في رده على كتاب (القول المبين) :

قسم عز الدين ابن عبد السلام في قواعده الكبرى البدعة باعتبار اشتغالها على المصالحة والمفسدة أو خلوها عنهما إلى اقسام الحكم الخمسة الوجوب والندب والحرمة والكرهية والاباحة ومثل لكل قسم منها وذكر ما يشهد له من قواعد الشريعة وكلامه في ذلك كلام ناقد بصير احاط خبرا بالقواعد الفقهية وعرف المصالح والمفاسد التي اعتبرها الشارع في ترتيب الاحكام على وفقها ومن مثل سلطان العلماء في معرفة ذلك ؟

فجاء تقسيمه للبدعة مؤسسا على اساس من الفقه وقواعده متين ، ولذا وافقه عليه الامام النووي والحافظ ابن حجر وجمهور العلماء وتلقوا كلامه بالقبول ، ورأوا أن العمل به متعين في النوازل والوقائع التي تحدث مع تطور الزمان واهله ، حتى جاء صاحب (الاعتصام) فخرج عن جمهرة العلماء وشذ بانكار هذا التقسيم فبرهن بهذا الانكار على انه بعيد عن معرفة الفقه ، بعيد عن فهم قواعده المبنية على المصالح والمفاسد لا يعرف ما فيه مصلحة فيطلب تحصيلها بفعله ، ولا يدري ما فيه مفسدة فيطلب اجتنابها بتركه ولا ما خلا عنهما فيجوز فعله وتركه على السواء واخيرا برهن على انه لم يتذوق علم الاصول فيما يناسب الوقائع ، وان كان له في الاصول كتاب (الموافقات) فهو كتاب قليل الجدوى عديم الفائدة وانما هو بارع في النحو له فيه شرح على ألفية ابن مالك في اربعة مجلدات دل على مقدرته في علم العربية ، على انا وان كنا نعلم أن للشاطبي دراية بعلم اصول الفقه على سبيل المشاركة فلا نشك في أن سلطان العلماء فيه امكن ، وعلمه بقواعده اتم ، وقواعده الكبرى خير شاهد على ذلك ، واني لأعجب من الشاطبي كيف انكر على سلطان العلماء ذلك التقسيم مع انه بناه كما قلنا على اعتبار المصالح والمفاسد التي اعتبرها الشارع في ترتيب الاحكام على وفقها ولم ينكر على المالكية القول (بالاستصلاح) الذي لم يعتبره الشارع ولا قبله جمهور العلماء بل انكروه وابوا أن يرتبوا عليه احكاما كما فعل المالكية لعدم اعتبار الشارع له؟! ما القول بهذا مع انكار ذلك الا تعصب مذهبي ظاهر ، ولا يمكنه أن يتمسك لانكاره بحديث (كل بدعة ضلالة) لأن البدعة التي هي ضلالة من غير استثناء هي البدعة الاعتقادية كالمعتقدات التي احدثها المعتزلة والقدرية والمرجئة ونحوهم على خلاف ما كان يعتقد السلف الصالح فهذه هي البدعة

التي هي ضلالة لأنها مفسدة لا مصلحة فيها اما البدعة العملية بمعنى حدوث عمل له تعلق بالعبادة أو غيرها ولم يكن في الزمن الاول فهذا لا بد فيه من التقسيم الذي ذكره عز الدين ابن عبد السلام ولا يتأتى فيه القول بأنه ضلالة على الاطلاق ، لأنه من باب الوقائع التي تحدث على ممر الزمان والاجيال ، وكل واقعة لا تخلو عن حكم الله تعالى اما منصوص عليه أو مستنبط بوجه من وجوه الاستنباط ، والشريعة انما صلحت لكل زمان ومكان وكانت خاتمة الشرائع الالهية واكلها بما حوته من قواعد عامة وضوابط كلية ، مع ما اوتيها علماءها من قوة الفهم في نصوصها ومعرفة بالقياس والاستصحاب وانواعها إلى غير ذلك مما خصت به شريعتنا الغراء ، ولو اتبعنا طريقة الشاطبي وحكمنا على كل عمل حدث بعد العصر الاول بأنه بدعة ضلالة من غير أن نعتبر ما فيه من مصلحة أو مفسدة لزم على ذلك اهدار جانب كبير من قواعد الشريعة وقياساتها وتضييق لدائرتها الواسعة وفي ذلك ما لا يخفى ، فظهر بهذا البيان الوجيز خطأ انكار الشاطبي رحمه الله تعالى وصواب ما ذهب اليه عمر الدين ابن عبد السلام ووافقه عليه جمهور العلماء . (١ . هـ) .

المولد النبوي الشريف :

في بحث (البدعة والسنة) في هذا الكتاب ما يكفي لاثبات مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وحيث خصص كل من الشيخ ابن منيع في (حوار هـ) والشيخ التويجري في (رده القوي) صفحات كثيرة لمهاجمة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف واثبات بدعيته فاني سوف اصدر باذنه تعالى كتابا خاصا منفصلا حول هذا الموضوع وعلى قاعدة (ما لا يدرك كله لا يترك جله) احببت أن لا يخلو كتابي هذا من رد مختصر مفيد يوضح مشروعية المولد النبوي الشريف بقلم فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد ملا رمضان البوطي من علماء الشام المعروفين وعميد كلية الشريعة بجامعة دمشق .

الفصل العاشر

ردا على الذين ينكرون الاحتفال بالمولد النبوي

ليس كل جديد بدعة

بقلم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

البدعة ، بمعناها الاصطلاحي الشرعي ، ضلالة يجب الابتعاد عنها وينبغي التحذير من الوقوع فيها . ما في ذلك ريب ولا خلاف .

واصل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه الشيخان " من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وقوله فيما رواه مسلم : " أن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " .

ولكن ما هو المعنى المراد من كلمة " بدعة " هذه ؟

هل المراد بها معناها اللغوي الذي تعارف عليه الناس ، فيكون المقصود بها اذن ، كل جديد طارئ على حياة المسلم ، مما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه ، ولم يكن معروفا لديهم ؟ ..

أن الحياة ما تزال تتحول بأصحابها من حال إلى حال ، وتقلهم من طور إلى اخر .. ولا مطمع في امكان التغلب على قانونها هذا ، وربطها بمسار من الثبات والجمود على حالة واحدة ، على مر الازمنة والعصور . وحتى الفترة القصيرة التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه ، لم تجمد الحياة خلالها على نسق مطرد ثابت ، بل استقبل النبي واصحابه منها اطوارا اثر اطوار .. ولكن (لحسن حظ ذلك الرعيل الاول) كان المصطفى صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، فكان يرحب بسنة الحياة هذه ، دون أي مقاومة لها أو ثورة عليها . فكم من عرف جديد ايده ، وكم من كشف طارئ على حياة الصحابة والعرب رحب به ودعا اليه ، بعد أن تأمل فرآه لا يخالف من اصول الدين واحكامه شيئا . بل ربما يسر سبيل احياؤه والاخذ به على خير وجه . حتى استظهر علماء الشريعة الاسلامية من ذلك ، القاعدة

القائلة : الاصل في الاشياء الاباحة ، واستتبط من ذلك علماء الحنفية واخرون .. أن العرف -
بقيود معينة - مصدر لا يستهان به من مصادر الشريعة واحكامها.

لا يعقل - اذن - أن يكون المقصود بالبدعة هذا المعنى اللغوي العام . بل ما رأينا واحدا من
علماء المسلمين وفقهائهم ذهب في تفسير البدعة وتعريفها هذا المذهب العجيب. وانما تتطوي
الكلمة على معنى اصطلاحي خاص ، فما هو؟

البدعة والدين

امامي تعريفات كثيرة للبدعة ، كلها يدور في فلك معنى اصطلاحي واحد ، وان خالفت من
حيث الصياغة والاسلوب . ولكني اختار منها تعريفين عرفها بهما الامام الشاطبي في كتابه
الاعتصام وذلك لسببين: احدهما - أن الشاطبي يعد في مقدمة من خدم هذا البحث وتناوله
بالشرح والتحليل من جوانبه . ثانيهما - انه يعد من اكثر العلماء المتقدمين محاربة للبدعة
وتشددوا في الابتعاد عنها .

التعريف الاول ، انها " طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها
المبالغة في التعبد لله عزوجل " والتعريف الثاني انها " طريقة في الدين مخترعة تضاهي
الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية " .

وانما ردها الشاطبي رحمه الله بين هذين التعريفين ، نظرا لرأي من حصر البدعة في
العبادات ، ولرأي من عممها في سائر انواع السلوك والتصرفات . على انه مال فيما بعد إلى
أن البدعة انما تخص بالعبادات سواء منها القلبية وهي العقائد أو السلوكية وهي سائر انواع
العبادات الاخرى .

ولا يعنينا الان أن نقف عند هذا الترديد باي نظر أو تمحيص . انما الذي يعنينا أن نلاحظ
قولهم في التعريف : " طريقة في الدين مخترعة .. " .

اذن ، فلكي ياخذ السلوك معنى البدعة وحكمها ، يجب أن يمارسه صاحبه على انه داخل في
بنية الدين وانه جزء لا يتجزأ منه ، مع انه في واقع الامر على خلاف ذلك .. وتلك هي روح
البدعة وسر تحذير الشارع منها ، وذلك هو الملاحظ في تسميتها : " بدعة " .

والمستند الذي يشكل الدليل القطعي على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام " من احدث في امرنا هذا ما ليس منه .. " اذ المقصود بـ "امرنا هذا" الدين ، كما هو واضح ، وقوله عليه الصلاة والسلام فيما اخرج الطحاوي : " ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب : الزائد في دين الله والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت يذل من اعز الله ويعز به من اذل الله ، والتارك لسنتي ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله " .

ويتضح من ذلك أن مناط انكار البدعة وردها على صاحبها ، أن المبتدع يقم في بنية الدين وجوهره ما ليس منه ، ولما كان المشرع هو الله عزوجل ، لم يبق مجال لأي تزيد أو تغيير على شرعه .

اما سائر الافعال والتصرفات الاخرى ، التي قد تصدر من الانسان، دون أن يتصور انها جزء من جوهر الدين أو واحد من احكامه، وانما يندفع اليها ابتغاء تحقيق هدف أو مصلحة له ، دينية كانت أو دنيوية : فهي ابعد ما تكون عن احتمال تسميتها بدعة ، وان كانت مستحدثة في حياة المسلمين غير معروفة لهم من قبل ، بل مألها أن تصنف اما تحت ما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه مسلم وغيره " من سن في الاسلام سنة حسنة ، فله اجرها واجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من اجرهم شيء . ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من اوزارهم شيء " .

ما هو المعيار

ويحتاج بيان هذا الامر إلى تفصيل طويل ولكننا نقتصر منه على الموجز التالي :

1. أن كانت الافعال والتصرفات التي تصدر من الانسان (مما لا يدخل في معنى البدعة التي تم بيانها) تتعارض مع اوامر أو نواه ثابتة في الشرع ، فهي تسمى مخالفات (محرمة أو مكروهة) لشرع الله عزوجل . لا فرق بين أن تكون هذه المخالفات مستحدثة أو تكون قديمة معروفة كالمبازل الاخلاقية والاندية التي تشيع فيها المنكرات . وامرها واضح لا يحتاج إلى بحث .
2. وان كانت مرسله ، أي غير معارضة ولا موافقة لشيء من احكام الشرع وادابه التفصيلية ، فهي تصبغ ، من حيث احكامها ، بلون الاثار والنتائج التي تحققها ، أي فما كان منها مؤديا إلى تحقيق واحدة من سلم المصالح الخمسة التي جاء الدين لرعايتها) الدين والحياة والعقل والنسل والمال) فهو من قبيل السنة الحسنة ، ثم أن

يتفاوت ما بين النذب والوجوب ، حسب شدة الحاجة اليه لتحقيق تلك المصلحة ، اذ قد يكون من ضرورياتها الذاتية وقد يكون من حاجياتها الاساسية ، وقد يكون من تحسينياتها المفيدة وما كان منها متسببا إلى هدم واحدة من تلك المصالح أو الاضرار بها ، فهو من نوع السنة السيئة ، ثم أن درجة سوءه تتفاوت حسب مدى الضرر الذي قد يلحقه بتلك المصلحة ، فقد يكون مكروها وقد يصبح محرما . اما ما كان منه بعيدا عن أي تأثير ضار أو مفيد لسلم تلك المصالح ، فهو من قبيل المباح أو من قبيل العفو ، كما يعبر بعضهم .

وإذا استوعبنا هذه الحقيقة ادركنا انه ليس ثمة ما يسمى بالبدعة الحسنة ، كما توهم ذلك بعض الباحثين ، بل البدعة لا تكون الا ضلالة قبيحة ، وذلك لضرورة انها تعني التزويد على الدين والاضافة اليه . وهو لا يمكن أن يكون حسنا بحال من الاحوال .

وانما يدخل هذا الذي توهموه (بدعة حسنة) فيما سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة الحسنة ، وهو ما اصطلح الاصوليون على تسميته فيما بعد بالمصالح المرسلة .

ومن امثلة هذه السنة الحسنة تلك الاحتفالات التي يقوم بها المسلمون عند مناسبات معينة ، كبدء العام الهجري ، ومولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وعند ذكرى الاسراء والمعراج ، وذكرى فتح مكة وغزوة بدر ونحوها ، مما يتوخى منه تحقيق خير أو يعود إلى مصلحة الدين سواء على مستوى الضرورات أو الحاجيات أو التحسينات .

ومن المفروغ منه أن ذلك كله مشروط بالألا تستتبع هذه الاعمال اثارا ضارة تؤدي بجذوى ما حققته من المصالح أو تلحق الضرر بمصلحة مقدمة عليها .

"المولد " ليس بدعة

هذا ما نعتقد انه المنهج العلمي الذي لا بديل عنه ، عند الخوض في ذكر البدع ومحاربتها وجذب الناس عنها ، ولا ريب أن اتباع المنهج العلمي يوصلنا إلى هذا القرار :

أن احتفالات المسلمين بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام والمناسبات المشابهة ، لا تسمى بدعة قبل كل شيء . لان احدا من القائمين على امرها لا يعتقد انها جزء من جوهر الدين وانها داخلة في قوامه وصلبه ، بحيث اذا اهملت ارتكب المهملون على ذلك وزرا .

وانما هي نشاطات اجتماعية يتوخى منها تحقيق خير ديني .

ثم انها لا تدخل تحت ما يسمى بالسنة السيئة ايضا ، أن روعي في اقامتها أن تخلو من الموبقات وان تهذب عن كل ما قد يعود على الخير المرجو منها بالنقص أو الافساد .

وإذا رأينا من يخطئها بما يسيء إلى نتائجها ، فان التنبيه يجب أن يتجه إلى هذا الخط ، لا إلى جوهر العمل بحد ذاته ، والا فكم من عبادة صحيحة مشروعة يؤديها اناس على غير وجهها ، فتؤدي إلى نقيض الثمرة المرجوة منها . افيكون ذلك مبررا للتحذير من ادائها والقيام بها ؟

نعم ، أن اجتماع الناس على سماع قصة المولد النبوي الشريف امر استحدث بعد عصر النبوة ، بل ما ظهر الا في اوائل القرن السادس الهجري . ولكن افيكون ذلك وحده كافيا لتسميته بدعة ، والحاقه بما قال عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام : كل من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد ؟ اذن فليجردوا حياتهم من كل ما استحدث بعد عهده عليه الصلاة والسلام – أن كانوا يستطيعون – فان كل ذلك من البدع !

اقول بعد هذا كله : فلنفرض اننا مخطئون في فهم " البدعة " على هذ النحو ، وان الصواب ما يقوله الاخرون من أن كل ما استحدثه الناس ، حتى ما لا يدخلونه في جوهر الدين واحكامه ، بدعة محرمة – فان المسألة تغدو عندئذ من المسائل المختلفة في شأنها والخاصة للاجتهد .

ومما هو معروف في اداء الدعوة إلى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أن القائم بهذا الشأن ينبغي (كلما وقف في موقف عام) أن ينهي عن المنكرات المجمع على انها كذلك ، ولا ينصرف عنها إلى النهي عما اختلف فيه المسلمون من المسائل الاجتهادية التي لا يكلف المجتهدون فيها بأكثر من الوقوف عندما قضت به اجتهاداتهم وفهومهم . اذ الامعان في النهي عن هذه المسائل لا يمكن أن ينتهي الا إلى اثاره اسباب الشقاق وتصديع وحدة المسلمين وبث عوامل البغضاء فيما بينهم .

وان في حياتنا ومن حولنا من المنكرات الشنيعة والمفاسد الخطيرة ، التي لا خلاف في مدى جسامتها وسوء اثارها ، ما يكفي لأن نمضي العمر كله في معالجتها والسعي إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف للقضاء عليها . فلماذا نتشاغل عن هذا الرأي الذي اجمعت الامة على انه من المنكر الذي لا عذر في السكوت عليه ، ثم نشغل بالانتصار لاجتهاداتنا الشخصية ومحاربة ما يقابلها ويكافئها من الاجتهادات الاخرى ؟ ا . هـ مقال الدكتور البوطي .

الخاتمة

بحمده تعالى وفضله ومعونته وتوفيقه تم هذا الكتاب واسأله تعالى أن يتقبله ويجعل فيه النفع وتقريب قلوب امة حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد وكلمتهم على الحق الذي ارسله تعالى به وهداه اليه ، لأنني حرصت فهي على تلمس وتقديم الادلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال واعمال السلف الصالح رضوان الله عليهم كما حرصت على التزام اداب الاسلام واحكامه فيما يتصل بأسلوب وطريقة الرد على المخالفين ومحاورتهم بالتي هي احسن موقنا بأن (الحكمة ضالة المؤمن) وانهم سوف يفيئون إلى الحق ويقبلونه متى عرفوه واهتدوا اليه بأدلته الجلية الواضحة ..

فقد أن الاوان لهؤلاء الاخوان أن يرفعوا (الحاجز النفسي) الكثيف بينهم وبين جمهور المسلمين من اهل السنة والجماعة في العالم الاسلامي الرحيب وقد آن الاوان لأن يحج المسلم ويزور قبر نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده الشريف تحيطه عيون المودة والرحمة والاخاء وكيف ننتظر أن ننتصر على اعدائنا من اليهود والنصارى والمجوس واعوانهم ونحن تحسبنا جميعا وقلوبنا شتى بيدع ويشرك ويكفر بعضنا بعضا والله سبحانه وتعالى يقول (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

والله تعالى من وراء القصد وهو ولي التوفيق ولا حوة ولا قوة إلا به وهو المستعان وعليه التكلان وله الحمد في الاولى والاخرة وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

اعده وكتبه (الفقير اليه تعالى)

يوسف السيد هاشم الرفاعي

ص . ب (420) الصفاة

المنصورية - الكويت

المراجع والمصادر

1. القرآن الكريم
2. كتب السنة المشرفة
3. مجموع الأربعين اربعين من أحاديث سيد المرسلين للنبهاني
4. الإيمان بعوالم الآخرة وموقفها للشيخ عبدالله سراج الدين
5. الاقتراح في بيان الاصطلاح- للإمام تقي الدين بن دقيق العبد
6. العقائد الاسلامية للشيخ سيد سابق
7. قضايا الوسيلة للشيخ محمد زكي ابراهيم
8. طي السجل وأشرف الوسائل للسيد محمد مهدي الرفاعي الرواس
9. نور الاسلام للشيخ عبدالكريم محمد المدرس
10. البرهان المؤيد - للسيد أحمد الرفاعي
11. الدولة المكية بالمادة الغيبية للشيخ أحمد رضا خان
12. لطائف المعارف - للإمام ابن رجب الحنبلي